روايات عصير

روبين دونالد

# لون منتصف الليل

www.elromancia.com

مرمورية

مكتبة مدبولي الصغير

٢٣٩

روايات عالمية

HARLEQUIN - "ABIR" - No. 239

# لون منتصف الليل

كان صوتها يبدو عميقًا بالنسبة لمن فى مثل نحافتها ، كما ظهرت فى صوتها لهجة بريطانية لم يكن من الممكن تفاديها بعد أن عملت لمدة عامين على ظهر يخت يمتلكه ملياردير بريطانى ، وكل طاقمه من البريطانيين ، أما الآن وقد عادت لوطنها نيوزيلندا فقد حاولت بإخلاص التخلص من تلك اللهجة . كان عليها أن تعود من حيث أتت اذا لم تستطع تحديد مكان مزرعة ما قريبة من حيث فقدت طريقها ، اسمها الأنلعة الأسبانية ، وقد شعرت مينرفا وهى تائهة فى سيارتها تحت هذا المطر أن هذه المزرعة ربما تكون فى أسبانيا فالخمسة أيام الأخيرة كانت آخذة فى الاتجاه شمالاً من « أوكلاند» وهى تحاول إقناع نفسها أنها فى أجازة .



| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لبنان | ٢٢٥٠ ل ل | الكويت | ١,٥٠٠ د | اليمن | ٦,٤٠ ر | U.K. | 2,40 |
| سورية | ٤٠ ل س | الامارات | ١٩,٢٠ د | تونس | ٢,٤٠ د | France | F 16 |
| الأردن | ١,٥ ف | البحرين | ٢,٤٠ د | ليبيا | ١,٦٠ د | Greece | Drs 320 |
| العراق | ١,٢ ف | قطر | ١٩,٢٠ ر | المغرب | ٨ د | Cyprus | P 2,40 |
| السعودية | ١٠ ريال | عمان | ٢,٤٠ ر | مصر | ٣٠ ق | | |

# الفصل الأول

تمتمت مينرفا روبير ستون وهى تحدق خلال الأمطار نحو اللافتة:

«يجب أن تكون هناك علامات على هذة الافتة، اللعنة على المهملين"

كان صوتها يبدو عميقاً بالنسبة لمن فى مثل نحافتها ،كما ظهرت فى صوتها لهجة بريطانية لم يكن من الممكن تفاديها بعد أن عملت لمدة عامين على ظهر يخت يمتلكه ملياردير بريطانى، وكل طاقمه من البريطانيين، أما الآن وقد عادت لوطنها نيوزيلندا فقد حاولت بإخلاص التخلص من تلك اللهجة.كان عليها أن تعود من حيث أتت اذا لم تستطع تحديد مكان مزرعة ما قريبة من حيث فقدت طريقها، اسمها القلعة الأسبانية ، وقد شعرت مينرفا وهى تائهة فى سيارتها تحت هذا المطر أن هذه المزرعة ربما تكون فى أسبانيا فالخمسة أيام الأخيرة كانت آخذة فى الاتجاه شمالاً من " أوكلاند " وهى تحاول إقناع نفسها أنها فى أجازة ، وليس هناك من تبقى معه حيث ذهب والدها وزوجته فى رحلة عمل لأمريكا الشمالية لذلك قررت أن ترى بعظاً من ساحل

نيوزيلندا الشمالى الطويل ربما حتى تصل إلى "كيرى كيرى". ولم تكن لديها أية نية لزيارة المكان الذى أمضت فيه أختها آخر عام من عمرها، ولكنها ما أن رأت اللافتة تشير إلى «القلعة الأسبانية» حتى صارت فى اتجاهها وهى ترفع درجة المكيف الساخنة فى سيارتها فى محاولة لتبخير الماء المتراكم على زجاج سيارتها الأمامى والذى يعوق رؤيتها لحد غيرقليل ، ولكن ها هى الآن فى مفترق طريقين لا تدرى أيهما يؤدى للقلعة الاسبانية والجو رغم رداءته الا أنه متوقع فى مثل هذا الوقت من العام ولكن هل تأخذ أى طريق ولترى كيف يكون حظها؟ لكنها خرجت من السيارة إلى المطر محتمية بمظلة رقيقة وقد حدست بأن المطر لابد أنه حطم بعض الافتات أو أوقعها وأن عليها أن تبحث عنها، ولكن بعد وقت غير طويل وتحت تأثير المطر عادت فى اتجاه سيارتها دون أن تجد أى أثر لأى علامة أو لافتة. كان صوت تساقط حبات المطر على المظلة ذا إيقاع منتظم جعلها لا تشعر بوجود ذلك الرجل الذى كان ممتطياً صهوة جواد رمادى لامع، وقد رقد أمامه على الجواد كلب أبيض اللون به بقع سوداء بينما ارتدى الرجل معطفاً من معاطف المطر الطويلة وأخذ ينظر إليها دون أن يأتى بأية حركة وكأنه متجمد من البرد والمطر . ابتسمت مينرفا وهى تتذكر أنها لم تر منزلا فى آخر ثلاثة أميال وأن حولها آلاف الهكتارات من الأراضى التى تغطيها الأعشاب ونباتات الغابة.

قال الرجل وهو يجذب لجام الحصان الذى بدأ يتحرك بقليل من العصبية:

«لا تحركى مظلتك فى الهواء فهى تزعج الحصان».



شعرت مينرفا أن الرجل يشع قوة وتحكم ذكرها برجال الفايكنج المحاربين بينما أخذت حبات المطر تتساقط على زوايا وجهه الحادة، لكن يدها أصبحت أكثر تحكماً فى المظلة وهى تسأله:

«هل يمكنك أن تدلنى على الطريق إلى القلعة الأسبانيه؟».

أخذ يتفحصها بعينين باردتين بدا لها أنه ينظر بهما خلالها وليس لها فحسب، ورغم أنها كانت متأكدة أن لا شىء سيهرب من ملاحظته التى بدت قوية وحادة إلا أنه ذكرها بهؤلاء المغامرين الذين يسافرون وراء طموحاتهم إلى أى مكان دون أن تجذبهم أسرة أو بيت إلى وطنهم. كان الحصان يتحرك تحركات قلقة، بينما بدا الكلب لمينرفا وكأنه من خارج هذا الكوكب، لقد بدا ثلاثتهم: الحصان والرجل والكلب وكأنهم يسخرون منها أو يضايقهم وجودها فى ذلك المكان. قالت مينرفا بأدب فى محاولة لاسترداد ثقتها بنفسها رغم أن الرجل لم يجب على سؤالها :

«إنها مزرعة لتربية الأغنام قريبة من هنا، مملوكة للسيد نيك بيفريل».

فأجاب الرجل بصوته الخالى من لمسة إنسانية وكأنه صوت صادر من آلة:

«إننى أعرف من يمتلكها، لماذا تودين الذهاب هناك؟».

فقالت وقد رفعت حاجبيها فى تعجب:

«وهل يهمك هذا فى شىء؟».

«أعتقد ذلك، فأنا أملك القلعة الأسبانية».

كان عليها أن تعرف ذلك. فقد رأت صور الزفاف ولكن العريس

الذى كان فى الصور كان مبتسماً دائماًومختلفاً عن هذا الرجل تماماً، ولكنها صور زفاف... الجميع يبتسمون فى صور الزفاف ويبدون كالسعداء.

فقالت وهى تأمل أن تظهر ثقتها وتحكمها:

«سيد بيفريل. أنا مينرفا روبيرستون»

فقال دون أن يبدو عليه أى اهتمام:

«وهو كذلك. هل من المفترض أننى أعرفك؟».

«أنا أخت ستيلاً».

اهتزت قبضته على لجام الفرس الذى عاود التحرك بعصبية بينما رفع الكلب لرأس صاحبه القاسى للحظة ثم خفضها ثانية لكتفى الفرس الذى كان راقداً فوقه. فقال نيك بيفريل:

«إذن الأمر كذلك!».

كيف تزوجت ستيلاً من ذلك الرجل البارد بل من تلك السمكة الباردة؟ لكن مينرفا تمكنت من أن تقول بتودد:

«لقد عدت لتوى من الخارج وقررت أن أمضى عطلتى فى الشمال بعدما وجدت روث وأبى مسافرين».

لقد ذكرت روث نيك بيفريل أحيانا، لكن إلى أى مدى كانت علاقتهما وثيقة لم تخبرها. وهو بالطبع لم يفعل فوجهه القاسى الخالى من أى تعبير لايبدو عليه أن عضلاته تتحرك وهو يتحدث.

فأضافت وفى حديثها مسحة من الشعور بالذنب لقدومها:

«لم يكن فى نيتى القدوم هنا. ولكننى رأيت اللافتة فى أسفل التل فأتيت، هاأنذا».



ولكنها تضايقت عندما انتبهت لاعتذاراتها المتكررة التى لا يوجد ما يستوجبها. فهى لن تفقد كرامتها لمجرد أن زوج أختها ينظر إليها وكأنها شيئا غريبا وجده تحت إحدى الصخور. لكنه قال:

«أنا آسف. فقد كنت فظاً للغاية ولم أرحب بك».

ما زالت نفس اللهجة الخالية من أى انطباع تملأ صوته وأضيفت لها ابتسامة صغيرة مغلفة بنوع من السخرية لم تسترح لها مينرفا.

«لم تكن لدى أدنى فكرة بعودتك».

«لقد عدت للوطن منذ ثلاثة أسابيع».

فأومأ برأسه دون أن يتوقف عن النظر إليها ثم قال:

«المزرعة على بعد ميلين من هنا. اتجهى يساراً حتى تجدى لافتة تشير للمزرعة ثم اتجهى يسارا ثانية واتبعى الطريق حتى تصلى للمنزل. وعندما تصلى أخبرى السيدة بوردوس من أنت. هل تنوين البقاء؟».

فأجابت بسرعة:

«لا. سأقضى الليلة فى أحد الفنادق الصغيرة، أعتقد أن اسمه مانجونوى».

لم يبد عليه أنه ارتاح لذلك مما أدهشها، بل ظل كما هو ثابتاً خاليا من أى تعبير لكنها قالت برقة:

«أتمنى ألا يزعجك ذلك».

لم تتلق أى رد فعل، وتنبهت مينرفا أنها لم تكن واضعة أى مكياج وربما تدلت خيوط شعرها البنى على كتفيها فى فوضى تامة بفعل المطر. لكنه قال:

«على الإطلاق. سألحق بك بمجرد انتهائى من بعض الأعمال».

وانطلق بحصانه فى حركة مدربة، وبمجرد أن جذب اللجام ودفع الحصان بقدميه انطلق فى طريقه الذى بدا عليه أنه يحفظه عن ظهر قلب وما هى إلالحظات حتى ابتلع الضباب ثلاثتهم: الرجل والحصان والكلب. أخذت تحملق مينرفا فى غباء حيث اختفوا حتى نبهتها قدماها المثلجتان إلى أنها تقف تحت المطر. إذن هذا هو نيك بيفريل.

إنه مناسب لهذا المكان الممطر بمعطفه الثقيل الداكن وحصانه وكلبه، ولكن ما الذى عنته ستيلا عندما كتبت لها عن طيبته وضحكاته وعطفه الرائع. لم يكن هناك شئ عاطفى فى ذلك الرجل، إنه يبدو كسادة الأرض التقليديين من القرن التاسع عشر. رغم جمال ستيلا وتعدد علاقاتها إلا أن نيك بيفريل كان أول رجل أحبته بحق. ولكن بالتأكيد قد شارك هذا الرجل فى قلقها ببروده حتى دفعها لتناول الأقراص التى وضعت حداً لحياتها التى لم تتجاوز السادسة والعشرين.

عادت مينرفا للسيارة وشعرت بالدفء ثانية بعد أن أدارت المكيف، وفى طريقها للمزرعة اعترفت لنفسها أنها لم تأت لهذا المكان سوى لرغبة فى معرفة ما حدث لأختها الحبيبة وأدى لوفاتها.

ورغم مرور عام على وفاة ستيلا إلا أن مينرفا عادت لبيتهم لتجده مازال فى حالة حداد.

لقد كانت روث - والدة ستيلا - تبتسم كثيرا لكن سلوكها الرفيع لم يخف ضعفها وحزنها الذى بدا على وجهها وفى فترات صمتها الطويلة.

لقد فوجئت مينرفا بتدهور صحتها عندما عادت من سفرها الطويل وقد تحدثت مع والدها فى إحدى الليالى بعد أن ذهبت روث للفراش.



كان براين روبيرستون رجلاً مرحاً بالنسبة لأحد رجال الاعمال لكنه كان يشعر بعذاب زوجته التى تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى التى أنجب منها مينرفا.

«لا أعتقد أنها ستجتاز هذه الأزمة أبدا. فما زالت تبكى كل ليلة عندما تعتقد أننى نعست تماما حتى لا تشركنى فى أحزانها المسكينة. إنها تشعر بذنب وكأنها قتلت ستيلا بأن تخلت عنها وتركتها هناك وحيدة فى الشمال».

فتساءلت مينرفا :

«وماذا عن نيك؟ لابد أنه يعرف شيئاً عما حدث لستيلا وسبب وفاتها».

«لقد صدم مثلنا تماما ولا يعرف شيئاً نهائياً».

لكنها قالت فى عناد:

«لابد أنه يعرف شيئاً».

«لقد قال أنه لا يعرف وأنا أصدقه».

تذكرت مينرفا تلك المناقشة وهى فى طريقها للقلعة الأسبانية. كان أبوها حكما جيدا عن الرجال لكن ذلك الرجل الذى برز لها من الظلام لم يبد أنه من الصعب عليه أن يكذب لو كان ذلك فى مصلحته. هل كان يكذب بالنسبة لحالة ستيلا العقلية؟

توقفت مينرفاأمام السور الصخرى الكبير الذى يعود عمره إلى مائة سنة خلت حيث استقر نيكولا بيفريل الأول. كان المنزل أشبه بقصور البارونات بلونه الداكن وطرازه الكلاسيكى وحديقته الواسعة. بدت القلعة لمينرفا وكأنها أطلال أحد القلاع الحربية التى قرأت عنها

وشاهدتها فى الأفلام القديمة، وشعرت برجفة خفيفة عندما تذكرت أن أغلب أفلام الرعب تتم فى أمكنة شبيهة بتلك القلعة. لكنها وبخت نفسها لذلك الشعور فقد شاهدت حصانا وكلبا ولم تشاهد خفافيش.

كان واضحاً أن نيك بيفريل مزارع جيد. فالأسوار فى حالة ممتازة وكذلك المنزل، كما قصت حشائش الحديقة بخبرة ومهارة. كما بدا أيضاً أنه مالك وصاحب عمل جيد، فمنزل العمال كان ضخما وظهر أنه يعتنى به فى مكانه الجانبى من الحديقة لكن منزله هو كان من طابقين طغى عليهما الطابع الفكتورى فلابد أن من بناهما كان نيكولا الأكبر جده. كما كانت هناك فى مواجهة البوابة شرفة كبيرة فى الطابق الثانى وصلت إليها أغصان نبات الوستريا المتسلق مما أعطاها مسحة من الرومانسية، أو هكذا اعتقدت مينرفا. أما الحديقة فكانت أشبه بالحدائق التى تظهر فى حكايات الأطفال الخيالية والتى تظهر فيها الملائكة ليلا لتغنى مع بطلة الحكاية.

وقفت مينرفا أمام الباب الحديدى الضخم بعد أن عبرت السلالم الخشبيه القليلة الموصلة بين الحديقة والمنزل، وقفت للحظات تلتقط أنفاسها قبل أن تدخل للمنزل الذى شهد وفاة أختها الوحيدة.

رنت مينرفا جرس المنزل الذى أحدث صوتا عاليا أزعجها، وبعد حوالى دقيقة فتح الباب قليلا وظهرت سيدة فى منتصف الخمسين بدت على ملامحها الجدية والصرامة وقد جمعت شعرها الرمادى بإحكام فى مؤخرة رأسها.

نظرت إليها المرأة بإمعان ثم قالت فى صوت قوى :

«نعم».



«أنا مينرفا روبيرستون».

فلم يبد على المرأة أى تأثير بل واصلت النظر إليها بإمعان. فأضافت مينرفا:

«أنا أخت المرحومة ستيلا».

وللحظة بدا على المرأة أنها فوجئت فقالت مسرعة بلهجة اعتذار:

«طبعاً، تفضلى... تفضلى».

دخلت مينرفا وهى تقول دون أن تنظر للمرأة لتحاشى عينيها الفاحصتين:

«لقد قابلت السيد بيفريل فى الطريق فى أثناء توجهى للشمال».

توجهت مينرفا للقاعة الكبرى المزينة باللوحات الزيتية والسجاد الذى بدا باهظ الثمن وهى تحاول استجماع قوتها حتى لا تبكى فى المكان الذى ماتت فيه ستيلا. لم يكن قبل هذا المنزل غريبا عليها فلسنوات عملت فى مطابخ أثرياء أوروبا وأمريكا وكانت لديهم منازل وقصور أعظم وأضخم ولكن هذا المنزل بقدمه ولأن أختها كانت سيدته ظهرلها مختلفا.

كان المنزل دافئا رغم أنها لم تر ما يدل على أنه مكيف مركزيا لكن المدفئة التقليدية فى صدر القاعة كانت تشع دفئا رائعا أراح مينرفا بعد صباحها الذى قضته وسط الأمطار فى سيارتها الصغيرة. ودون أن تتحدث للمرأة خلعت معطفها ووضعته على أريكة ضخمة وجلست بجانبها وقد تركت مظلتها المبتلة على الأرض قالت بعد أن استراحت وهى تدير رأسها فى المكان:

«إنه لرائع، كم عمر هذا البيت؟».

«مائة وعشرون عاماً».

«لا يبدو عليه ذلك القدم فهو فى حالة جيدة تماماً.

فقالت ربة المنزل وكأنها ترفع عن نفسها تهمة عدم الاعتناء بعملها:

«لقد تم الحفاظ على القلعة الأسبانية دائما كما أن الاعتناء بها وبصيانتها ونظافتها لا يتوقف».

فلم تجب مينرفا بل اكتفت بابتسامة، فقالت المرأة بصوت أكثر رقة وضيافة:

«هل ترغبين فى قدح من الشاى بينما تنتظرين السيد بيفريل».

كانت مينرفا بدأت تشعر بالندم لقدومها لهذا المنزل. فالمنزل يبدو مرحبا لكن من يعيشون فيه ليسوا كذلك بالتأكيد. لكنها هنا الان وعليها أن تبقى لتقابل نيك ثم تفعل بعد ذلك ما يحلو لها. فقالت بتودد لم تعرف له سببا وهى تتحدث للمرأة:

«نعم من فضلك».

وعندما ذهبت المرأة لتحضير الشاى بدأت عينا مينرفا تتجولان فى المكان ثانية ومر الوقت سريعا جدا.

فلم تشعر مينرفا بالمرأة إلا وهى تضع صينية الشاى أمامها ومالبث سيد المنزل أن وصل هو الآخر فى نفس الوقت. شعرت مينرفا ببعض الارتباك فهى لم تتوقع عودته المبكرة جداً. والآن وهى تراه على قدميه تحققت من ملامحه جيداً التى اختفت تحت حبات المطر عندما قابلته فى الطريق.

لم يكن أطول كثيرا من والدها ولكن كانت هناك مسحة من



السيطرة فى ملامحه مع برود عينيه التى لم تتعرف مينرفا على لونهما جعلتها تشعر بالصغر والضعف أمامه. لكنها تمكنت من أن تقول بابتسامة مؤدبة «مرحباً».

فقال بطريقة مهذبة لكن بصلابة أقرب للهجة القساوسة:

«إذن فقد وجدت طريقك بسهولة» ثم ملتفتا لربة المنزل:

«هيلين، هل يمكن تناول قدح أنا الآخر؟»

فقالت المرأة:

«لقد وضعت لك قدحا بالفعل»

«هل اتصل أحد بعد؟»

«لا» قالت المرأة ذلك بدا عليها الاهتمام والقلق فى الوقت نفسه».

«دعينى أعرف عندما يتصلوا مباشرة».

فقالت المرأة وهى تحاول الابتسام:

«طبعا سأفعل».

إذن لا تعامل رسمى هنا، فكرت مينرفا فى ذلك بينما غادرت المرأة القاعة. وعندما اختفت تماما قال نيك:

«إن ابنة هيلين تنتظر مولودها فى كريستشترش.إنه الحفيد الأول لها لذلك فهى متوترة ومستثارة قليلا. كيف كانت رحلتك على ظهر يخت الملياردير؟».

فقالت منيرفا بمسحة من السخرية لتذكرها تلك الرحلة التى لم تر فيها صاحب اليخت سوى لثلاثة أسابيع طوال العامين اللذين أمضتهما على يخته:

«لقد كنت مجرد الطاهية ولكنى استمتعت بالرحلة كثيراً».

وهو يتناول فنجان الشاى لاحظت مينرفا يديه الجميلتين وأصابعه الطويلة الرقيقة التى اكتسبت لونا نحاسيا كوجهه تماما. وقد جعل منظر أصابعه وهى تتعامل مع الفنجان بأرستقراطية، جعل مينرفا تشعر بتناقض فى شخصية ذلك الرجل.

«إنها مهنة غريبة بالنسبة لمرأة لديها كل مميزاتك».

على الأقل لقد اعتبرها مهنة. فابتسمت مينرفا ابتسامتها المعتادة وأجابت إجابتها المعتادة لذلك السؤال:

«إنها موهبتى الوحيدة وانا أستمتع بها كثيراً».

«ولكنك لا تبقين فى عمل واحد طويلاً. فقد قالت ستيلا أنك لا تمكثين فى أى مكان أكثر من عام».

فقالت وهى تحاول أن تضفى نوعا من الأهمية على عملها:

«إننى أوقع عقوداً صغيرة. بهذه الطريقة يمكننى رؤية أماكن أكثر والتعرف على خبرات أكثر مما يفعل السائح».

«لابد أن اليخت كان ممتعا للغاية لدرجة أنك أمضيتى عامين على سطحه».

كانت قد التحقت بطاقم اليخت عندما وصلها خطاب ستيلا المتأخر بسبب البريد عن الزفاف، لذلك لم تتمكن من اللحاق به، وعندماماتت ستيلا كانت فى وسط الأطلنطى. ولكن بمجرد عودتها للأرض طارت عائدة للوطن ولكن متأخرة عن موعد الجنازة لكنها تمكنت من البقاء أسبوعين بجانب روث وأبيها وأخيها كين قبل أن تعود لعملها ثانية. تذكرت مينرفا ذلك ثم قالت:



«لقد أصر صاحب اليخت على عقد لمدة عامين وكنت فى حاجة ماسة للعمل فقبلت».

فقال بصوته الجميل المتعدد الطبقات:

«تجربة عظيمة عبر البحار».

كان صوته جميلا لكنه خال من أى تعبير كوجهه وكفيه الرماديتين الفضيتين . لقد اختبأ هذا الرجل خلف ستار من الثقة والتحكم جعل الوصول لشخصيته الحقيقية أمرا شديد الصعوبه. فقالت محاولة إعادته للحديث:

«بدلا من قضاء العمر فى مكان واحد لم نر العالم كله ولو لمرة واحدة».

فقال بلهجة شعرت فيها ببعض السخرية:

«ولتوسعى من أفقك أيضا».

فرفعت حاجبيها فى دهشة ولكن ما لبثت أن قالت :

«ربما. فالبعض لا يمكنهم نسيان تعنتهم الزائف لإضفاء مسحة من العظمة على شخصياتهم».

بالطبع لم يعلم أنها تعنيه بما قالت، فهى لا تكاد تعرف شيئا عنه لكى تصفه بأى شىء،فأومأ برأسه وقال:

«لقد سافرت أنا نفسى كثيرا، ولكن أجمل رحلة لى كانت الأولى. من الهند عن طريق البر حتى وسط أوروبا.

أمضيت ستة أشهر فى انجلترا ثم ذهبت فى رحلة عبر أفريقيا حتى كيب تاون قبل أن أعود عبر كندا وأمريكا.

لوكان شخص آخر هو المتحدث لاعتقدت أن هناك حزنا فى صوته

وهو يتحدث، لكن هذا الرجل كان من الصعب بل من المستحيل تخيله حزينا فقد كانت ثقته و تحكمه أشبه بتهديد لكل من يتعامل معه. كان من الصعب تخيل رجل ما يعيش فى هذا المكان ويعمل بالزراعة وتربية الخراف وهو يتجول حول العالم.

فاخطتفت مينرفا نظرة سريعة لوجهه،الملامح الحادة والفم المستقيم كاناوكأنهما يتحدثان عن القوة وعدم الاقتناع بالحلول الوسطى، فإما أن يحصل على الأشياء كما يريدها أولا يريدها على الإطلاق.

إن هذ الرجل الجالس أمامها ليس بينه وبين الذى كتبت عنه ستيلا فى خطاباتها أى أوجه للشبه.الآخر عطوف ومرح أما هذا فمتجهم وصلب وتشع القسوة من ملامحه ونظراته. وأنبت مينرفا نفسها لتوترها الذى لا مبرر له عندما بدا قدح الشاى يهتز فى يدها عندما تحدث هو ثانية:

«كم ستمضين قبل أن تسافرى ثانية؟».

«شهر».

لم يكن لديها أن تأخذ أطول من ذلك فهى بحاجة للنقود لكى تحقق ما تخطط له فى المستقبل. لكنه قال:

«وبعد ذلك؟ لقد كانت ستيلا تعتقد أنك ستستقرين فى نيوزيلندا آجلا أم عاجلاً».

فقالت بصوت غير واثق:

«أتمنى أن أعود يوما ما وأفتتح مطعمى الخاص. ولكن بالنسبة للوقت الحالى فأنا أريد حياتى كما هى. لقد عرضت على وظيفة فى بريطانيا لدى عائلة من المغتربين».



عندما ابتسم ارتفع أحد جانبى فمه عن الجانب الآخر فبدا ساخرا ولم يعلق. بدأت مينرفا تشعر بالضيق لوجودها فى ذلك المكان.

إن هذا الرجل أكثر من مقبض. واعتقدت ان أية امرأة تعاشره لمدة طويلة لابد وأن تقدم على الانتحار فما بالك بستيلا التى أحبت حياة السهر والحفلات أكثرمن أى شىء آخر. لابد أنها أصيبت باكتئاب فى هذه المنطقة البعيدة. رغم أن ستيلا كانت أكبر من مينرفا بعام عندما تزوجت أمها-روث -من والد مينرفا إلا أن مينرفا كانت تقوم بدور الأخت الأكبر. فقد كانت أكثر عقلا ونضجا. ولكن ربما يعود ذلك إلى أنها كانت أقل جمالا فلم تكن تحتاج للتدبر طويلا قبل الاندماج مع الشباب فى علاقات عاطفية، تحكى ستيلا التى كان وراءها معجبون دائما.

لقد كانت تحب ستيلا كثيراً رغم أنها ليست أختها حقاً، وكانت تحب روث أيضاً ومازالت فقد كانت بمثابة أم لها وعاملتها دون تفرقة كما عاملت ولديها ستيلا وكين الصغير. لذلك فقد شعرت مينرفا بضيق لأن أختها ماتت وهى وحيدة هنا مع ذلك الرجل الخالى من اى شعور.

قال نيك وهو يتفحصها جيداً:

«لأمر ما توقعت أن تكونى مثل ستيلا فى الشكل، لكنك مختلفة».

فأجابت مينرفا بسرعة:

«لأننا عائلة مختلطة. فستيلا ليست أختى بل ابنة زوجة أبى روث. لذلك فهى جميلة. أو كانت جميلة أم أنا فلا».

فى اللحظة التى قالت فيها ذلك شعرت كأنها محاولة ساذجة منها للحصول على مجاملة من نوع ما. ورغم أنها لم تعتقد ذلك فقد شعرت بسخافة ما قالته، لكنه قال: «نعم لقد كانت جميلة. وأنت جذابة للغاية، بالتأكيد تعرفين ذلك».

لم يتبع ذلك بنظرات طويلة فاحصة كما يفعل الرجال، ولكن لسبب ما غامض فى صوته شعرت مينرفا أنه يرى ساقيها الطويلتين، واستدارة ثدييها اللطيفة، وخصرها الضيق عبر ثيابها بعينيه الحادتين.

كم تمنت أن يكون لها لون أختها البرونزى. كان لون ستيلا يناسبها تماما أما هى فلونها الشاحب كان يسبب لها حرجا فى بعض المناسبات أو هى تشعر بذلك. كانت تعرف أن الرجال يستمتعون دائماً بتفحص النساء، كذلك تفعل النساء. وقد شعرت هى ببعض الذنب تجاه ستيلا عندما أخذت تتفحصه فى متعة، عيناه اللتان يتراوح لونهما بين الرمادى والفضى، رموشه الطويلة الداكنة، حاجبيه الكثيفة وشعره الذى بدا فى لون العسل الصافى. وشعرت بارتياح عندما اندفعت السيدة هيلين بوروز ربة المنزل إلى القاعة وقد بدا على وجهها الانزعاج وجهت حديثها لنيك:

«نيك، لقد تحدث موارى لتوه، الأمور ليست على ما يرام. ويرى أن على الذهاب بأسرع ما يمكن».

وقف نيك بسرعة وقد بدا عليه الاهتمام والقلق الواضح وقال فى لهجة آمرة:



«احزمى حقيبتك، وسوف آخذك للمطار لتلحقى بطائرة المساء إلى أوكلاند. وسوف أرتب لك مكانا على الرحلة المتجهة إلى كريستشرش».

لكن هيلين قالت بصوت متردد:

«لا يمكننى الذهاب يا نيك».

«ولم لا؟».

«أنسيت دعوة العشاء التى تقيمها يوم السبت لهؤلاء البرازيليين. فنحن فى منطقة بعيدة، لن تتمكن من شراء الطعام ولن تجد من يطهو بدلاً منى..»

فقاطعها بهدوء وقد تركزت عيناه على مينرفا:

«لحسن الحظ، مينرفا طاهية محترفة، سوف يسعدها البقاء لكى تتأكد أن ضيوفنا سيتناولون عشاءهم.

أليس كذلك مينرفا؟».

لم يكن سؤالا. فقد باغتها بفكرته تلك التى طرحها وكأنها أمر فى غاية البساطة.

وشعرت مينرفا أن لسانها قد تصلب فى حلقها فقالت بعد أن رأت نظرات الأمل فى عينى المرأة:

«بالطبع، بالطبع سيسعدنى ذلك».

فنظرت اليها المرأة نظرة ودودة بدت غريبة عليها فواصلت مينرفا لتؤكد استعدادها وترحيبها:

«فقط اعطنى قائمة بالأصناف المرغوبة وسأقوم أنا باللازم على خير وجه واطمئنى».

ولكن بدا على المرأة أنها مازالت مترددة فقالت وهى تحول بصرها بينهما:

«ولكن، هذا غير لائق أعنى..»

فقال نيك بلهجة حازمة:

«هيلين. إن مينرفا عضو فى العائلة فلا تقلقى».

ابتسمت مينرفا فقد أراحتها عبارته تلك كمبرر قوى لقبولها فقالت بابتسامة:

«هذه هى فائدة العائلات فى الأوقات الصعبة».

وبعد نصف ساعة كان ثلاثتهم فى السيارة الرانج روفر الفخمة فى طريقهم لأوكلاند. كانوا فى نفس الطريق الذى قطعته مينرفا من فترة قصيرة ولكن فى الاتجاه الآخر. ولم تكن لدى هيلين سوى التعليمات لتعطيها لمنيرفا التى لم تكن فى أدنى حاجة لها. ولكنها تعاطفت مع المرأة التى لم يكن لديها سوى القلق فى رحلتها لابنتها أخذت تطرح عليها بعض الأسئلة من حين لآخر لتشغيل ذهنها.

وصلوا متأخرين عشر دقائق لكن الطائرة انتظرت هيلين بوروزالذى يدل على نفوذ واتصالات نيك بيفريل فى المنطقة. وبعد وداع متعجل ركضت السيدة للطائرة واختفت وراء بابها الضخم.و قال صوت نسائى ضاحك من خلفهما وهما يشاهدان الطائرة تقلع:

«أهلاً نيك: هل وصل الطفل بعد؟».

فاستدار نيك ليرى المتحدثة اليه، كانت امرأة فى الثلاثينيات بدت أنيقة فى ثياب أقرب ما تكون لثياب العمل، بنطلون چينز ورداء أسود، جنفيف تشاستوود. وبعد أن تم التعارف بينها وبين مينرفا



أخذت تفحص مينرفا بعين باردة لكن باهتمام واضح.

«أخت ستيلا؟ لكن لا تبدين شبيهة بها».

«إننا أخوة بالتبنى فحسب». أجابت مينرفا وهى تحاول إخفاء استيائها من ملاحظة المرأة: «لقد تزوجت والدتها من أبى».

وبعد نظرة طويلة حولت جينفيف نظرها لنيك وقالت:

«إذا كانت السيدة بوروز مسافرة لابنتها فماذا ستفعل فى عشاء السبت؟».

فقال نيك وقد بدت عليه السعادة:

«هنا تدخل يد القدر، سوف تتولى مينرفا الأمربأكمله، وبالمناسبة فهى طاهية محترفة».

فقالت المرأة وقد أصبح صوتها أكثر برودة:

«يا لحسن الحظ. هل تنوين البقاء طويلاً يا مينرفا؟».

فأجابت مينرفا باقتضاب «لا». لم يكن لديها استعداد لإجابة أسئلة الغرباء الذين ليس لهم الحق فى السؤال.

فقال نيك وقد تركزت نظراته الغامضة على منيرفا:

«إن مينرفا فى رحلة للشمال، ولكنى أتمنى إقناعها بالبقاء لبضعة أيام بعد عشاء السبت».

ضاقت عينا جنفيف ثم اتسعتا ثانية وهى توجه حديثها لنيك مبتسمة:

«حسنا، إذا احتجت لمساعدة فسأكون سعيدة لو اتصلت بى. وسيسعدنى لو قمت بدور المضيفة لك مرة ثانية...» ثم ذهبت ابتسامتها عندما تحولت عيناها لمينرفا وأكملت:

«على أن أذهب الأن. فهناك أعمال لابد من إنهائها».

وابتعدت فى ثقة، متأكدة من جاذبيتها وفتنتها. وشاهدتها مينرفا وهى تسير فى تمعن قائلة لنفسها لو أن هذه النوعية المقتحمة هى الغالبة على النساء هنا، لكان من السهل معرفة لم وجدت ستيلا صعوبة فى تكوين صداقات. لقد جعلتها تشعر بالأسف تجاه المهتمين بالجمال، فهم لا يعرفون هل يتم تقديرهم لملامحهم أم لشخصياتهم وذواتهم.

أخفت مينرفا ابتسامة ساخرة وهى تحكم حزام مقعدها حول نفسها، ان هذا الرجل الجالس بجانبها يبدو أشبه بأبطال قصص الفرسان الخيالية. لابد أن لديه نقطة ضعف من نوع ما. لا يمكن أن يكون هناك إنسان بهذا الهدوء بل البرود. لكنه بدا حاذقا فى اختيار ماصلح لمركزه الاجتماعى، السيارة الرانج روفر، والقلعة الأسبانية، والفرس والكلب للسيد المالك الكبير. من المؤسف أن الحصان لم يكن أسود فقد كان يمكن تسميته إبليس أو الشيطان، ولا يمكن لأحد امتطاؤه سوى سيد المنزل.أخذت تتخيل مينرفا ذلك والسيارة عائدة بها للقلعة الأسبانية وهى تسخر فى سرها من تلك الخواطر .ولكن بالرغم من كل شىء فقد كان نيك بيفريل هو أول رجل جعلها تشعر منذ أغراها بول بين وهى فى التاسعة عشر من عمرها. كان ذلك علامة خطر مما جعلها تنظر أمامها مباشرة بينما قاد هو السيارة فى صمت. ولكنه قال بعد فترة طويلة وكأنه تذكر شيئاً ما فجأة:

«لن يكون عليك أن تؤدى أيا من الاعمال المنزلية، فهناك من يساعد هيلين ثلاثة أيام فى الأسبوع. إحدى زوجات العاملين فى



المزرعة، فقط ركزى على الطهى للعشاء».

فقالت وهى تحاول إخفاء الاستثارة فى صوتها:

«ربما أتمكن من أداء بعض الاعمال الخفيفة».

فابتسم نيك، كان ذلك أشبه بشعاع الشمس وهو يخترق السحب. كان الجانب الغامض البارد فى شخصيته مختفياً عندما ابتسم مما جعل مينرفا تشعر بالتوتر. فعندما يتبعثر الدرع الذى يحيط مشاعره به يكون رائعا وقد سبب لها ذلك ضيقا. فهى لا تثق به وتعتقد أنه بشكل أو بآخر يمكن أن يكون مسئولاً عن وفاة ستيلا لذلك فهى ترفض شعور الاعجاب نحوه وتقاومه بداخلها. ليس من العجيب أن تقع ستيلا فى حب مثل ذلك الرجل». رغم برودته إلا أنه يشع قوة. وبالتأكيد كان يعاملها بشكل آخر، فقد كانت زوجته.

لم يكن لديها أى سبب لشعور بالضيق - هكذا فكرت مينرفا وهى تتذكر ستيلا - فكان لديها زوجاً رائعاً وكل ما يمكن أن تحيا من أجله. لقد كانت محبوبة أيضاً من الجميع لجمالها وشخصيتها العطوفة. لم يكن من السهل تخيلها وهى تتعاطى الحبوب التى تقضى على حياتها. لقد انتظرت حتى رحل نيك لثلاثة أيام ثم انتحرت عامدة متعمدة بعد أن سرقت الحبوب من أمها. لقد وجدتها هيلين فى الصباح التالى ميتة، لا عجب فزعت عندما رأتها اليوم وأخبرتها أنها أخت ستيلا. «انتحار فى أثناء اضطراب الحالة الذهنية» كان نتيجة التحقيق النهائى. ولكن مينرفا وجدت من الصعب تصديق ذلك كما وجدته روث أيضاً مستحيلاً. لقد كانت ستيلا ذكية ومرهفة ومحبة للحياة. حقيقة كانت تنتابها نوبات من المزاج المتقلب تشعر بالاحباط والتعاسة،

ولكنها نوبات لم تستمر طويلاً ولم تكن خطرة لدرجة دفعها للانتحار. لقد شهدت هيلين ربة المنزل بأنها لم تلحظ أى تغير على سلوك ستيلا لم تر أى علامة من علامات الاكتئاب عليها، فهل شهدت كذلك لكى تحمى سيدها الذى بدا عطوفا عليها للغاية. هل كانت شهادتها تلك بدافع الولاء. لقد قالت إن ستيلا شعرت بحنين للوطن أحياناً وغير قادرة على البقاء فى فورتلاند.ولكن كانت ستيلا تبدو غارقة فى حب نيك لدرجه تمكنها من الذهاب معه لنهاية العالم ولكن لم تكن رسالتها الاخيرة لمينرفا ممتلئة بالمشاعر الفياضة والحب الجارف تجاه نيك كبقية الرسائل. لقد حدث شيء ما، فقد كانت الرسالة تقليدية ومجرد سرد للأحداث كما لو كانت ستيلا تحاول إخفاء شيء ما عن عواطفها وراء الكلمات.

ولكن بعد أن قابلت مينرفا نيك ودخلت القلعة الأسبانية أصبحت الأمور أكثر غموضاً أمام عينيها...



## الفصل الثانى

عندما عادا للقلعة وضع نيك السيارة فى الجراج الكبير وقد لاحظت مينرفا عندما وضعت سيارتها الصغيرة التى استعادتها من روث فى المكان الخالى من الجراج سيارة من طراز مرسيدس بينز. إذن فهذا الرجل لديه شئ لكل شئ. السيارة الروفر للأعمال فى المزرعة والمسافات الطويلة والمرسيدس للمناسبات الخاصة. وبجانب الجراج كان هناك باب آخر مؤدى للقصر مفتوح على قاعة واسعة قادها نيك خلالها ثم أشارإلى أحد الابواب قائلاً:

«هذا هو المطبخ»

كان مطبخاً رائعاً. فقد تأكدت مينرفا من ذلك بعين خبيرة بعد أن أمضت أعواما طويلة فى مطابخ الأسر الراقية. كان مجهزا بكل الامكانات الحديثة ومع ذلك فقد احتفظ بالطابع الكلاسيكى للبيت كله.

سألها نيك:

«هل تعتقدين أنه بإمكانك إعداد العشاء بمفردك؟».

فأجابت بثقة وبطريقة عملية:

«نعم. لا تقلق».

انحلت عقدة شعرها فانسابت الخصلات حتى وسطها، فأخذت مينرفا تلملمها بسرعة وخجل من نظراته الثابتة والتى شعرت فيها بسخرية من نوع ما.

«إنك لا تبدين مثل الطهاة، أو على الأقل ليس كفكرتى عنهم».

«لأننى لا أرتدى تلك القبعة الطويلة البيضاء!؟ أنا أرتديها فى مطابخ الفنادق فحسب».

ثم تساءلت هى لتمنعه من مواصلة أسئلته:

«ما هى الأطعمة التى لا تحبها؟».

«لا شىء. سآكل كل ما يوضع أمامى طالما أنه ليس شديد الحلاوة». ثم قال بعد أن نظر فى ساعته:

«سنتحدث عن الأطعمة فيما بعد. بعدأن أريك بقية المنزل».

وقبل أن يخرجا من المطبخ تسللت قطة كبيرة للمطبخ وكأنها تبحث عن شىء ما وما أن رأت نيك حتى اندفعت نحوه فحملها من على الأرض قائلاً:

«هذه بيونلبى. مهمتها القضاء على أى فئران».

وتركها من يديه لكى تهبط وتجلس عند قدميه فى هدوء تام. كانت مينرفا تحب القطط، وهذه القطة التى تدل على الثراء ستعطى المطبخ مسحة لطيفة من الصداقة. سألته مينرفا:

«ما اسم الكلب؟»

«الصدئ».

عقدت مينرفا حاجبيها من الدهشة «الصدئ؟» وقالت بتعجب:



«اسم عجيب. إننى مستعدة أن أراهن أنه خال من أية بقعة بنية اللون. مجرد أبيض وأسود».

فقال بنصف ابتسامة بسطت ملامحه الحادة:

«أنت محقة. لم أكن أنا من أطلق علية هذا الاسم».

«من إذن؟».

«الرجل الذى رباه فى البداية سماه الصدىء. لقد اعتبرته دائماً مصاباً بعمى الألوان».

فسألته: «هل تدعه داخل المنزل؟».

فقال رافعا حاجبيه وكأنه اندهش من سؤالها:

«لا. إنه كلب المزرعة. كلاب المزرعة لا تدخل البيوت».إذن كلاب المزرعة ليست حيوانات مدللة، المرء يتعلم الجديد كل يوم، هكذا أخبرت نفسها بينما واصل هو:

«لقد كان لدى كلب مدلل. لكن ستيلا لم تحبه.لذلك عندما مات لم استبدله بكلب آخر».

لم تكن هناك علامة حزن فى صوته عندما ذكر اسم زوجته الراحلة. كما لو لم تكن تعنى شيئاً بالنسبة إليه، أو ربما كان الحل الوحيد فى نظره التأقلم مع حزنه وفقده إياها هو إخفاء مشاعره بداخله.

«وما اسم الحصان؟».

فقال وقد بدا عليه الاعجاب بالاسم:

«الجن الفضى».

لابد أن كان فى رد فعلها ما جعله يبتسم فى سخرية ويقول:

«لم أكن أنا من سماه أيضاً.اسم سخيف أليس كذلك؟».

فقالت وهى تخفى استياءها من الاسم:

«لا.. لا. إنه يناسبه فهو فضى وأعتقد أنه سريع كالجن».

فهز رأسه قائلاً:

«لا إن الاسم لا يناسبه. إنه حصان مزرعة فلسنا فى حلبة سباق هنا». ثم انتظر لبرهة قبل أن يضيف: «أنا لا أدعه داخل المنزل أيضاً».

عندما ضحكت مينرفا أخذ ينظر اليها بتفحص وكأن منظر امرأة ضاحكة غير مالوف بالنسبة اليه. وبالطبع فقد توقفت عن الضحك شاعرة بحرج لكنه خرج من المطبخ قائلاً:

«سأريك الطابق الأسفل أولا حتى تعرفى طريقك، ثم سأريك حجرتك».

وتبعته مينرفا خارج المطبخ وهى لا تدرى لم تضايق أو بدا عليه أنه تضايق من ضحكها.

كان البيت كله رائعا ومؤثثا تأثيثا من الطراز الكلاسيكى مما جعل القلعة أشبه بقلاع الأمراء لدرجة أن مينرفا تساءلت برغبة صادقة فى المعرفة:

«إن المنزل رائع، من الذى أثثه ؟».

«أمى».

هل مازالت أمه على قيد الحياة؟ نعم لقد ذكرت ستيلا فى رسائلها عن أمرأة طويلة جذابة تزوجت للمرة الثانية. قالت مينرفا:

«ان موهبتها رائعة».



فقال:

«نعم. رغم أن معظم الأثاث كان موجودا قبلها، إلا أنها أعادت ترتيب المكان واختارت الألوان والأقمشة الجديدة للستائر والمقاعد. ففى وقتها لم يكن من العادى أن تعمل النساء فكان البيت هو شغلها الشاغل. إنها تعيش فى سنغافورة الآن مع زوجها الثانى وهى سعيدة للغاية فهى تزين المنزل والحديقة هناك».

قادت السلالم الى ممر غمره الضوء الآتى من نافذة كبيرة فى نهايته. وامتلأ الممر بلوحات بعضها لفنانين كانت تعرفهم مينرفا وبعضهم تجهله، لكن كل اللوحات كان بها نوع من الأصالة بل والعراقة. تساءلت مينرفا وهى تنظرللوحة زيتية لامرأة على الشاطىء:

«هل قامت والدتك بتجميع كل اللوحات؟».

«بعضها فقط. لقد قام أجدادى بشراء البعض الآخر كما أضفت اليها أنا بعض اللوحات».

فقالت وهى تحاول أن توصل المعنى الذى أرادته:

«انها.. انها متناسقة كما لو كانت مجموعة واحدة».

«ربما لأننا لم نشتر الا ما أعجبنا فعلاً».

كانت غرفتها فى نهاية الممر كبيرة بشكل يثير الدهشة. وقد وضع فى مقابل الباب سرير كبير ذو أربع قوائم قال نيك وهو يحاول ترتيب ملاءاته:

«إنه مرتب تقريباً، سأساعدك».

لكنها قالت بسرعة لأنها شعرت بالسخف أن يساعدها فى ترتيب فراشها:

«سأفعل أنا ذلك. أين خزانة الملاءات».

فأشار بيده إلى خزانة كبيرة بجانب دولاب ضخم فى طرف الغرفة:

«هذه، وهذا الباب بجانب الدولاب يؤدى للحمام، لو احتجتى لشىء دعينى أعرف».

«حسن. متى يكون العشاء؟».

«فى السابعة والنصف. أعتقد أن هيلين قد تركت قائمه ما».

«نعم».

فقال ولكن بدون عاطفة :

«شكراً لتطوعك لمساعدتى. لقد كانت هيلين مشتاقة لرؤية ابنتها، ولكن لم تكن مستعدة للذهاب وتركى بمفردى خصوصاً وذلك العشاء يوم السبت».

فقالت مينرفا بهدوء:

«هذه هى الأمانة والإخلاص».

هل كانت ربة المنزل مخلصة لدرجة أنها كذبت عندما سألها المحقق عن علاقة سيدها بزوجته المنتحرة، لو لم تكذب فعلى الأقل قامت بسرد الحقائق قليلاً لصالح من تعمل لديه. ربما كانت مينرفا متميزة، قليلاً فى احتياجاتها بسبب شعورها الطاغى بأن أختها كانت ضحية لظروف ما شديدة الصعوبة عليها.

لقدكان اسم عائلة بيفريل معروفا فى طول نيوزيلندا وعرضها، ونيك هذا كانت لديه أعمال خاصة أخرى فى القطاع الزراعى بجانب أرضه



وتسويق محاصيلها. كان ماهرا وذكيا بجانب انتمائه لأصول عريقة، ومن الواضح أن لديه قدرا لا بأس به من النفوذ أيضاً. ولكنه طيب أيضاً فاهتمامه بهيلين لم تضعه مينرفا فى حسبانها ولكنها بدأت تتخلص من انطباعها الأول عنه. فربما لم يهتم أحد بموت زوجته لأنه كان غائبا من المنزل فى ذلك الوقت فالولاء له لا يعنى الولاء لزوجته التى اعتبرت غريبة تماما عن المنطقة.

تحرك كتفاه العريضان وهو يقول بهدوء ويقصد ستيلا:

«لقد كانت تحب أمى وأمى كانت تحبها.» ثم عادت اليه طريقته العملية:

«بخصوص الأجر، سواء كنت من العائلة أم لا أنا بالطبع لاأتوقع منك التخلى عن إجازتك دون مقابل».

فرفعت مينرفا عينيها وقالت بخفة:

«الأسرة سلاح ذو حدين. أنت لا تعطى أجرا لعائلتك عندما تساعدك فى مأزق ما».

فقال وقد بدا عليه الاقتناع رغم أنها تضايقت من عرضه الذى جعلها تشعر بغياب روح القرابة:

«حسن للغاية كما تشائين».

وللغرابة فقد تضايقت من موافقته السريعة. كانت تتمنى لو أمر ليحدث بينهما نوع من النزاع لتثبت لنفسها فيه أنها قادرة على فرض إرادتها حتى مع هذا الرجل. لكنه أضاع عليها الفرصة بموافقته على كرمها العائلى!! كان سيكون خصما جيدا، عنيفا لكن عادل وستكون ثقه خالصة فى تحديه. كانت مينرفا تختلف فى ذلك عن ستيلا تماما،

فستيلا كانت تكره النزاعات وتنسحب منها قبل أن تبدأ لعدم قدرتها على الوقوف والتحدى. ولكنها شعرت فجأة بعدم الإخلاص لتبادلها الحديث الفردى ولتفكيرها فى رجل قد تكون له يد فى وفاة أختها، فعضت شفتيها بينما قال هو فى صوت عال دون مبرر:

«حسن، سأتركك لترتبى أشياءك».

عندما غادر الغرفة أخذت مينرفا تفكر فى شخصيته القوية التى تبدو وكأنها تفرض إرادتها على كل من وما حولها.

كانت هناك نظرة غريبة فى عينيه تتوقع من الجميع الطاعة التامة، ولكن مع ذلك فقد كانت هناك علامات لعاطفة غير محدودة وصدق شعور يحاول إخفاءهما تحت درع صلب من البرود. ومع ذلك فقد كانت مينرفا متأكدة أن حالة أختها الذهنية لم تكن طبيعية عندما أقدمت على الانتحار وسواء كان لذلك الرجل دخل أم لا فى وفاتها فإن عليها أن تعرف، هى لم تأت هنا عمداً لكى تتجسس وتبحث ولكن بما أنها هنا فإن عليها أن تحاول. وموت أختها ستيلا يزعجها ويطالبها بأن تفعل شيئاً، أن تجعل شخصاً ما يعانى كما كانت أختها.

كانت تلوم نيك مبدئياً، ولكن من الواضح الآن أن وفاة زوجته جعلته مثل روث يعيش فى ظلام ووحشية وحزن يحاول إخفاءه بطريقته كما تحاول روث إخفاء حزنها تحت ستار من المرح. يا ترى ماذا كانت أفكار ستيلا فى ليلتها الأخيرة فى هذا العالم؟ لن يعرف أحد هذا للأسف. لقد أرادت ستيلا ذلك على ما يبدو فهى لم تطلب مساعدة من أحد، لم تصارح أحدا بعذابها ومعاناتها. أحيانا تعتقد مينرفا أنه لو يكن هناك أى فرق لو عرف أحد أم لم يعرف. فالحزن لا يمكن القضاء



عليه بمجرد الإفضاء به لشخص آخر، لكن ربما كانت ستيلا تجد فيها عونا لو كانت موجودة معها فى ذلك الوقت. رغم أن مينرفا كانت أصغر بعام الا أنها كانت أكثر تفهما منها للحياة من أختها التى سبب لها جمالها كثيرا من المشكلات فى مراهقتها ومطلع شبابها. لم تكن مينرفا فى جمال أختها فلم يكن لديها سوى عينين داكنتين واسعتين ووجه منحوت بدقة أما ملامحها فكانت عادية مقارنة بكثير من الفتيات.لقد ضايقها ذلك كثيرا فى الماضى ولكنها تعلمت من علاقتها الأولى أن الجمال ليس ما يجعل الفتاة مرغوبة، بل قدرتها على المقاومة والاحتفاظ بكرامتها هو ما يجعل لها قيمة، لقد أحبت بول كثيرا وسلمته نفسها تماما لكنه تخلى عنها لفتاة أخرى وأصابها بصدمة ما زالت تعانى منها للأن رغم أنها تعلمت منها الكثير. وعندما تتذكر تلك العلاقة الآن تشعر برغبة عارمة فى استغلال كل موقف لتأكيد سيطرتها على عواطفها وحمايتها لنفسها من أى رجل يريد استغلالها واللهو بها. لم يكن بول يحبها بل يستغلها ليثير غيرة فتاة أخرى أما هى فقد كانت من السذاجة لكى تقع فى حبه وتظن أنه يحبها. هل حدث نفس الشىء لستيلا يا ترى؟!

* * *

عندما دخل نيك للمطبخ فى حوالى الرابعة والنصف كانت مينرفا تخرج صينية فطائر خفيفة من الفرن، لاحظت نظراته الفاحصة لها فابتسمت وواصلت ما تفعل دون أن تتحدث. لكنه قال بابتسامة كالوميض:

«هل هذه لشاى المساء. إن رائحتها جيدة».

فقالت باقتضاب وهى تشعر بانقباض فى صوتها:

«نعم».

لكن رنين التليفون قاطعها فتناول السماعه المعلقة فى المطبخ وتحدث قليلا ثم وضع السماعة سريعا.

«هل الشاى معد ؟».

«لا، ليس بعد».

«فى هذه الحالة هل يمكنك أن تأتينى به فى المكتب عندما تنتهى منه ؟».

«بالطبع».

كان مكتبه واسعا وكان هناك كمبيوتر بدا أنه حديث للغاية موضوع على منضدة بجانب المكتب.

وضعت مينرفا-التى كان لديها شىء ما ضد التكنولوچيا- صينية الشاى على المكتب واستدارت لتذهب.

كان نيك يقرأ شيئاً عندما دخلت ويضع بعض الملحوظات على الورق وقد أشار لها بالدخول عندما نقرت على الباب ولم ينظر لها.ولكنها عندما تحركت لتغادر الحجرة سألها بتعجب:

«لماذا هناك كوب واحد؟».

«حسن، إن ..».

رفع عينيه من الورق ونظر إليها وقد ضاقت عيناه قليلا:

«اذهبى وائتنى بكوب آخر لك».

أمر مباشر آخر! وبدا عليه أنه لا يتوقع العصيان، لماذا لا يعتقد أنها ربما تفضل بعض الخصوصية؟!



لم يكن هناك دفء فى عينيه وهو يتحدث وقد ترددت هى قبل أن تجيب أو تتحرك فبادرها بحزم:

«مينرفا. إنك عضو فى العائلة يجب أن يكون ذلك واضحاً. إنك ستساعدينني فشكرالك ولكنك لست مأجورة لتعملى هنا. أنت عضو فى عائلتى».

فقالت وكأنها تدافع عن نفسها:

«لقد عملت لخمس سنوات كأجيرة، سوف أستغرق وقتا لأعتاد على الوضع الجديد».

«إذن اعتادى عليه سريعا». قال ذلك وهى تستدير لتغادر الحجرة لتأتى بكوب لنفسها.

عندما عادت كان لا يزال يقرأ ويكتب ملاحظاته لكنه وقف عندما رآها قد جلست ثم قال بلطف:

«هل رتبت كل شىء؟»

«نعم». قالت ذلك وهى تصب لنفسها الشاى وقد بدأ يتسرب إليها إحساس غامض بأن لطفه هذا ليس طبيعيا بل مصطنعا. ثم قالت:

«ستحتاج لبعض العون مع ذلك، فسأقوم بالطهو ولكننى لن أتمكن من إعداد المائدة لعشرين شخصا بمفردى».

«لقد تم ترتيب ذلك. ستأتى چوليان هوارد لتساعدك طوال الجمعة والسبت. وابنا كبير الرعاة سيأتيان ليقدما الطعام للضيوف: إنهما فى المدرسة الثانوية».

أخذت مينرفا بذلك فقالت وهى تحاول إخفاء انطباعها:

«هل يعلمون أنهم سيفعلون ذلك».

«نعم لقد فعلوا ذلك مرارا. إننى أفضل استخدام أناس من المزرع لمساعدتى».

بدا الأمر طبيعى غير أن مينرفا تساءلت لو أنهم يقبلون ذلك تح تهديد من الرجل.

فقال بوضوح لدرجة أنها شعرت أنه يقرأ أفكارها:

«أنت بالطبع ستأكلين معنا».

فقالت بجزع محذرة :

«سيكون ذلك صعبا للغاية».

«صعبا للغاية؟».

«أعنى.. لا..».

فقال بثبات:

«إننى أود لو قمت بدور المضيفة من أجلى».

«نعم.. لكن..». توقفت الكلمات عندما قابلت عيناها عينيه الحادتين وقبل أن يسقط اسم جنيفيف من فمها.

فسأل بأدب:

«حسن اتفقنا. هل هناك شىء آخر تودين السؤال عنه؟».

فهزت رأسها قائلة:«لا، ليس الآن».

فقال وهو ينحنى للأمام:

«إننى أعلم أنك قبلتى ذلك متورطة. فما كانت هيلين لتتركنى ل لم تقبلى وأنا ممتن للغاية.وفى الحقيقة لم تكن حالة ابنتها مطمئ كما أخبرها زوجها فى التليفون». ثم أضاف:

«هل أعجبك ما رأيتى فى الشمال حتى الآن؟».



فقالت بمرارة :

«كل ما رأيته حتى الآن هو المطر. لقد تركت أوكلاند فى يوم رائع ولكن بمجرد أن وصلت لتلال «برين ديروين» بدأ المطر وما زال مستمرا من آن لآخر».

«حسن اذا أتيت فى الربيع ستجدين الأمور أفضل».

وقبل أن تتحدث رن التليفون فالتقط السماعة وأصغى قليلاثم قال:

«فرانك؟ أين هو؟ ماذا حدث؟». ثم قال بعد أن قطب:

«أنا أتناول الشاى الآن. سآتى بعد أن أنتهى منه. لا يهمنى إذا كان مقبلاً، ثم وضع السماعة بعنف.

حاولت أن تبدو مينرفا غير مهتمة على الإطلاق بما سمعت لكنه بادرها:

«فرانك أحد عمال المزرعة، اليوم هو عطلته وقد ذهب للبار حتى ثمل تماما وخرج على قدميه للطريق فهو لا يستطيع القيادة فى تلك الحالة. لقد أخذ يفرط فى الشراب بعد أن هجرته زوجته. يجب أن أذهب لآخذه لبيته قبل أن تصدم سيارة هذا الغبى ».

بدا على مينرفا التعجب لذلك فقال هو:

«من الصعب الحصول على مساعدة هنا. إنها العزلة فى هذا المكان».

من الواضح أن لديه أهتمام بالعاملين لديه، فموقفه من هيلين ومساعدته لفرانك هذه تؤكد ذلك، لا شك أنهم يحبونه لذلك. لقد تضايقت روث زوجة أبيها عندما قررت أن تتعلم الطهو رافضة فكرة أن يكون أحد أعضاء العائلة «خادماً»، لكن مينرفا تقبلت رأيها النابع من

الحب والحرص على مستقبلها بسعة صدر،كانت تتمنى لو حصلت على وظيفة سهلة حتى تتزوج كستيلا. لكنها سألته بتعجب:

«عزلة؟! أى عزلة؟!».

رجع نيك بظهره للوراء، وقال:

«ألاتمانعين فى العزلة هنا؟».

«نحن على بعد عشرين كيلو متر من كيرى كيرى لا أسمى ذلك عزلة».

«إن العزلة إحساس أكثر منها عزلة مكانية».

شىء ما فى صوته جذب انتباهها. فتحت هذا الستار من البرود كان هناك شعور بحزن عميق وافتقاد للعاطفة والحب. قالت بهدوء وهى تنظر لوجهه الثابت:

«نعم أعتقد أنك على حق».ثم قالت لتقطع الصمت:

«أعتقد أن المكان المنعزل هو الذى لا يصله البريد».

«نحن نتلقى البريد ست مرات فى الأسبوع».

«وماذا عن استقبال التلفزيون والراديو؟».

«ممتاز».

«ولديك الماء والكهرباء، بالاضافة لمكتبتين على الأقل فى كيرى كيرى، وسينما أيضاً. لا أعتقد أنك منعزل على الإطلاق. فلقد ذهبت لأماكن أقل ما يقال عنها أن الحضارة لم تصلها بعد».

كانت ابتسامة ساخرة فقال:

«يبدو أنك خبيرة بالعالم.أين ذهبت؟ مجاهل أفريقيا؟».

فقالت باختصار: «حول العالم». كانت تعتقد أن هؤلاء الذين



يتحدثون عن رحلاتهم مملون للغاية.

«أعتقد أن علىّ العودة للمطبخ».

قالت ذلك وقامت وقد أخذ هو ينظر إليها كما لو كان يعرف أنها تتراجع، وقال وهو يقوم:

«أشكرك مرة أخرى».

وانتظر حتى اقتربت من الباب حتى قال مرة أخرى برقة:

«مينرفا»

«نعم ؟»

«مرحبا بك فى القلعة الأسبانية».

بدا لها وكأنه تحذير، لم تدر سبب هذا الإحساس وما لبثت أن استشعرت سخافته فسألت:

«لماذا الأسبانية؟ فيمكننى رؤية القلعة ولكن لا يبدو عليها أنها أسبانية أكثر منها إنجليزية».

«من مائة وخمسين عاما حلم نيكولاس الكبير بأن تكون له قلعة فى أسبانيا لكنه لم يتمكن من ذلك فسماها القلعة الأسبانية».

ثم عاد لعمله مره أخرى الذى كان قد قطعه عندما دخلت هى وقبل أن تخرج قال دون أن يرفع عينيه من على الورق:

«من الأفضل أن تتصلى بوالديك وتخبريهما أين أنت. فأنا أعرف روث قلقة للغاية».

«حسن».

عندما صعدت لغرفتها لتبدل ثيابها سمعته وهو يخرج فى «مهمته الإنسانية» لإنقاذ فرانك، أصبح بإمكانها ان تسترخى الآن قليلا قبل أن

تواصل العمل وقد قررت الاتصال بروث فى المساء.

إن من الغريب أن يتركها هكذا وحدها فى المنزل دون أن يكون لديه أى دليل أنها أخت ستيلا فعلاً. ربما كانت أى فتاة أخرى جاءت لتخدعه ولكن لم يبد عليه أنه من ذلك الطراز الذى يسقط فى الشراك بسهولة.

لقد كان باردا، ولكنه جذاب أيضاً. شعرت مينرفا بإعجاب نحوه رغم أنه لم يبد معها سوى أقل قدرمن الترحيب.

رغم كل عبارات المجاملة، إلا أنه بدا عليه التكلف أكثر من الحميمة ومع ذلك فقد شعرت نحوه بنوع من العطف.

* * *

وقبل العشاء تلك الليلة أعطاها نيك كأسا من النبيذ، أخذا يتحدثان عن والديها وعن أخيها كين الذى كان يذهب لنفس المدرسة الداخلية التى كان نيك يذهب إليها. تناولا العشاء فى الحجرة الصغيرة الملحقة بالمطبخ، كانت مضاءة جيدا وقدأمضيا الوقت فى الأحاديث العامة. وقد وضح من حديثه أنه واسع الخبره والاطلاع ، على الأقل فيما يخص عمله ومصالحه. بعد العشاء عاد لمكتبه وطلب منها أن تشعر بحرية تامة وتتصرف كما تشاء فى المنزل. لكنها ذهبت لتتصل بروث التى ماأن سمعت صوتها حتى سألتها صائحة:

«مينرفا أين أنت؟».

«القلعة الأسبانية. لقد مررت لأقابل السيد بيفريل وحدث أن مدبرة المنزل كان عليها الذهاب لظرف طارىء فبقيت لأساعده فى حفل



عشاء الذى سيقيمه يوم السبت ».

«إن ذلك رقيق منك يا حبيبتى ». قالت روث ذلك وبدا فى صوتها ها راضية. ثم سألت:

«هل نيك معك؟».

«لا. إنه فى مكتبه يعمل».

«حسن. لا أود إزعاجه».

قالت مينرفا وهى تعلم حب روث للحديث فى التليفون:

«روث. إن هذه المكالمة تكلفنى الكثير ».

«نعم ولكن لا بد أن نيك سيـ.. »

فقاطعتها مينرفا:«لا.أنا سأدفع ثمنها».

«حسنا حبيبتى. لا تسرعى بالعودة إذا كنت مستمتعة بالبقاء ناك».

مستمتعة!؟ آه لو عرفتى ياروث.وفى طريقها لحجرتها ددت مينرفا إذا كان يجب عليها أن تذهب للأسد فى عرينه وتلقى له تحية المساء. لقد بدا مؤدبا ولكنه ربما يزأر لمقاطعتها إياه. كنه لم يزأر ولم يظهر أى مخالب، كان واقفا يقرأ أحد الملفات دما دخلت عليه واستغرق دقيقة قبل أن يلحظ وجودها فقالت رعة:

«أنا ذاهبة للنوم. متى تود الإفطار؟».

«فى السابعة. ولكن لا تستيقظى مبكراً فانا أعد إفطارى. ليلة يدة وأشكرك ثانية لمساعدتى»

«العائلات مؤسسات رائعة».قالت ذلك ضاحكة وهى تغادر الحجرة

بينما حياها بإيماءة من رأسه.

كان المطر قد توقف فى أثناء العشاء وفى حجرتها أخذت مينرفا تفكر فى نيك وهى تبدل ثيابها. بالطبع هو رجل جذاب أو على الأقل مثير للاهتمام. كانت متعبة للغاية ولم تستغرق طويلا فنامت ولكنها استيقظت فى وسط الليل بعد أن رأت حلما غريبا لم تتذكر منه شيئاً، ولكن خاطرا ما برق لذهنها وهى نصف نائمة ونصف مستيقظة، لم يكن هناك أدنى علامة تدل على أن امرأة عاشت فى هذا المنزل وكان اسمها ستيلا. لم تجد لها أى صورة أو أثر وكأنها لم توجد على الإطلاق..

## الفصل الثالث

فى الصباح استيقظت منيرفا ولديها إحساس مخيف بعدم التعرف على المكان ولكنها ما لبثت أن تذكرت أين هى. قامت من الفراش الوثير وفتحت ستائر النافذة لترى الصباح المشرق وكأنها فى أحد أيام الصيف. كان منظر الحديقة فى الصباح جميلا مما أنعش منيرفا التى كانت تختار وظائفها فى الأماكن التى تتمتع بالجمال، ولكن القلعة الأسبانية فى ذلك الصباح بدت أجمل من أى مكان آخر.

عندما اغتسلت وارتدت ثيابها وفى طريقها للطابق السفلى رأت نيك على وشك الخروج مما أدهشها. لابد أنه قد استيقظ مبكرا للغاية. بالتأكيد لم يتناول إفطاره. وبعد تبادل تحية الصباح سألته فى صوت ناعس:

«ماذا ستتناول فى الإفطار»؟

«أى شىء، سأطعم الكلاب أولا».

«هل ستتأخر؟».

«خمس دقائق على الأكثر».

أعدت منيرفا إفطارا كاملا يحتوى على بيض وفطائر وقهوة وعصير طازج، وبعد أن انتهى من إفطاره قال:

«إنه إفطار لذيذ».

«أشكرك».

«معذرة. ولكنك تبدين أصغر من سنك خاصة وأنت تجمعين شعرك ـاء وجهك هكذا. لايمكن تخيلك طاهية خبيرة كما أنت بالفعل».

جذب انتباهها لهجته الجافة، لكنها رفضت أن تتساءل عن معناها واصلت تناول أفطارها فى صمت. حتى فى هذه الساعة المبكرة من صباح أمكنها بأن تشعر بجاذبيته. قالت وهى تبذل جهدا كبيرا لتبدو ى حالتها الطبيعية:

«هل ستكون موجوداً لشاى الصباح والغداء».

«لا لدى موعد اعتقد أنه سيستغرق اليوم ولن أعود قبل السادسة. تنسى أن جوليان هوارد ستأتى تساعدك فى التاسعة».

«ماذا تفعل جوليان عادة؟»

فهز كتفيه ثم قال وقد لوح بذراعيه:

«لا أعرف تكنس وتلمع الأثاث، هذا النوع من العمل. الأعمال خفيفة تقوم بها هيلين وشركة من شركات النظافة فى كيرى كيرى وم بتنظيف الزجاج. البيت كله يتم تنظيفه بأكمله مرة كل عام فى ربيع». ثم قال بوضوح:

«لا تشعرى بأن عليك أن تفعلى أى شىء أكثر مما ترغبين فى له».

وبعد أن ذهب شعرت أن شكوكها حوله لا أساس لها من الصحة. د كانت علاقته جيدة بوالديها وقد شعر الجميع بالشفقة نحو الأرمل شاب الذى انتحرت زوجته دون ما سبب واضح. ولكن مع ذلك لا يبدو



عليه الحزن كثيراً لفقدان ستيلا وهذا ما أقلق مينرفا للغاية وجعلها متشككة. رجل مثله يمكنه أن يتزوج وقتما يشاء أو يعقد صداقات مع من يشاء فهو من أهم الرجال فى نورثلاند بالإضافة لشبابه ووسامته وثرائه رغم كل مميزاته إلا أنه كان هناك شىء ما يقلقها من ناحيته.

* * *

كانت جوليان هوارد شابة ومرحة فى أقل من نصف ساعة أثبتت أنها كفء وجادة فى عملها أيضاً. لكنها كانت ثرثارة أيضاً. فأثناء تناول شاى الصباح أعطت مينرفا التى لم تكن مرحبة بالثرثرة ـ تقريراً مفصلاً عن العاملين فى المنزل والمزرعة، تقرير لا يخلو من النقد طبعاً، ولكن مينرفا أنصتت فى محاولة تجميع أى قدر من المعلومات بخصوص وفاة ستيلا، كما أخذت تحكى لجوليان بعض الحكايات المسلية عن رحلاتها وعن الأناس المشهورين الذين عملت لديهم كطاهية. وفى أثناء حديثهما عاد نيك للمنزل لكى يلتقط شيئا نسى أن يأخذه معه وسأل جوليان اذا كانت قد رأت فرانك ذلك الصباح فأجابت بأنه حضر للإفطار وكالعادة، كان متعبا قليلا ولكن لا بأس به. وعندما ذهب نيك تنهدت جوليان وقالت:

«يا إلهى إنه رائع، أليس كذلك؟ آسفة. دائما أنسى أنك أخت زوجته الراحلة».

لقد حرص نيك على أن تعرف جوليان من هى مينرفا حرصا على سمعته. فماذا يقول أهل البلدة لو عرفوا أن امرأة ما أمضت الليلة فى منزله؟ لن يكون ذلك لطيفا لمن هو فى مثل مركزه. أجابت مينرفا:

«أعتقد أن لديه هذا التأثير على معظم النساء».

فقالت جوليان بهمس كمعظم الثرثارين:

«نعم رغم سلوكه المتحفظ دائما. ولكن للعلم إنه سيئ المزاج وخطر للغاية عندما يغضب».

فقالت مينرفا مندهشة: «نيك؟».

«نعم نيك». سعدت جوليان بالدهشة التى أثارتها عبارتها الأخيرة فواصلت فى حماس:

«إنه ليس عصبيا ونادرا ما يغضب ولكن عندما يحدث ذلك فمن الأسلم الابتعاد عنه، لقد أخبرنا فرانك بأنه رآه مرة يضرب أحد العمال لأنه كان يضرب كلبه بالسوط. ويقسم فرانك بأنه حطم فك الرجل وطرده وأمره بعدم العودة للمزرعة ثانية».

فقالت منيرفا معترضة:

«كسر فكه، نيك لا إنك تبالغين بالتأكيد».

«لا أقسم أنها الحقيقة.إسألى بنفسك. كل من يعرفه يعلم أنه يأخذ وقتا طويلاً لكى ينفجر ولكن عندما يحدث ذلك يجب البحث عن مخبأ، يصبح مثل البركان».

لقد خمنت منيرفا أن تحكمه فى نفسه الذى يغلف كل تصرفاته ليس سوى ستار ليخفى وراءه شخصيته الحقيقية هل كان ذلك ما حدث لستيلا التى كانت تكره الشجار والتحدى؟ هل سبب لها خوفها من تقلب مزاجه اكتئابا؟ لا لم تكن ستيلا ضعيفة لهذه الدرجة. كانت ستترك له المنزل وتعود لمنزل أبيها أما الانتحار فسببه آخر.

لم يكن لدى مينرفا الاستعداد لسماع أى ثرثرة أخرى خاصة عن نيك فقالت وهى تضع كوبها فى الحوض:



«من الأفضل أن نعود للعمل».

«حسن سأقوم بالتلميع. لقد لاحظت أنك تقطنين فى غرفة أختك الآن. لقد أحبت تلك الغرفة، اعتادت أن تقول أن طرازها رائع».

«أنا أيضا معجبة بها».

حجرة أختك؟! ألم يكونا سويا فى غرفة واحدة؟ خليط غريب من المشاعر اقتحم مينرفا. فقالت جوليان بصدق دون أن تلاحظ اضطرابها:

لقد حزنت كثيرا على أختك. كانت تبدو لطيفة للغاية لكنها لم تكن سعيدة هنا».

لقد استمتعت ستيلا بحياتها الاجتماعية ولكنها لابد وكانت تعرف أن حياة الريف مختلفة. شعرت منيرفا وكأن كتلة من الثلج فى معدتها مما سبب لها انقباضا مؤلما، لكنها لم تظهر ذلك لجوليان. لو كان هناك من يعرف لماذا أقدمت ستيلا على تلك الخطوة الأخيرة فلابد أنها هذه المرأة الثرثارة. علقت منيرفا محاولة أن تبدى عدم اهتمامها الشديد:

«لقد كنت أعتقد أنها أحبت الحياة هنا».

فقالت جوليان بسرعة وبلهجة حازمة متأكدة من معلوماتها:

«لا ولها عذرها. فالحياة هنا مملة للغاية مما يدفع المرء للرغبة فى الصراخ أحياناً. أشعر أنا بذلك رغم أننى نشأت فى مزرعة. لقد أمضيت عاما واحدا فى أوكلاند ومع ذلك عندما عدت لهنا شعرت بملل قاتل فما بالك بها. إن القلعة الأسبانية تبدو كنهاية العالم».

فقالت منيرفا وهى تحاول أن تجعل صوتها محايدا:

«إذا كانت الحياة مملة هنا لهذه الدرجة فما الذى يبقيك؟»

فهزت جوليان كتفيها وقالت:

«إنه العمل. نيك يساعد المزارعين الصغار ماليا لكى يتمكنوا من الحصول على أعمالهم الخاصة، لكنى لن أقضى بقية عمرى فى مزرعة أنظف البيوت وأطبخ للمزارعين».

«ولكن يبدو أن نيك مالك جيد».

«مثله مثل غيره كلهم واحد، لكنه على أى حال أفضل من كثيرين. سيفعل أى شىء من أجل هؤلاء الذى يعملون بإخلاص وجد. لكنه رجل صعب المراس كل من لا يعمل يتم الاستغناء عنه فورا».

فقالت منيرفا:

«لكنه ذهب لينقذ ذلك الرجل فرانك الذى ثمل فى الحانة وسار تحت المطر».

«نعم إنه مسكين.لكنه لو استمر على هذه الحال فسوف يطرده نيك بالتأكيد».

ثم استدارت بعد أن وضعت كوبها فى خزانة الأكواب بعد أن غسلته لتكون فى مواجهة منيرفا وتابعت:

«لن يكون غريبا أن يصل بفرانك الأمر فيحدث له ما حدث لأختك، فهو قريب جدا من الانهيار العصبى لقد اقترحت أن يرى طبيبا لكنه لم يستجب. بعض الناس كذلك يرفضون المساعدة».

فسألت منيرفا برفق:

«هل اقترحت أن تعرض ستيلا نفسها على طبيب أيضاً؟».

ترددت جوليان قبل أن تجب فاستطردت منيرفا قائلة:

«لأنك لو كنت فعلتى فشكراً لك».



انبسط وجهها الصغير بعد أن تلقت هذا الشكر فواصلت بحماس:

فى الحقيقة نعم. لقد اقترحت ذلك. يمكننى أن أؤكد أنها لم تكن بدة رغم براعتها فى إخفاء مشاعرها. لم ألحظ أنها وصلت لقمة نتاب إلا فى الأسبوع الذى سبق وفاتها لقد رأيتها وهى تبكى فى يارة كانت عائدة لتوها من عند الطبيب. لم أعرف بماذا أخبرها ما كانت محطمة القلب».

فقالت منيرفا وهى تحاول أن تحافظ على ثبات صوتها:

«شكرا لمساعدتك».

فى التحقيق لم يذكر أحد شيئا ما عن زيارة الطبيب. فكرت منيرفا ذلك بينما واصلت جوليان:

«عندما اقترحت عليها أن تخبر نيك رفضت رفضا باتا لم أدر سببه كان ذلك غريبا فقد بدا عليهما السعادة معا رغم أن..»

لكنها ترددت، بالطبع كانت على وشك أن تقول شيئا آخر لكنها لم ل. حاولت منيرفا أن تبدو مسالمة وليست لديها رغبة فى المعرفة ن لحظة الثقة انتهى عمرها هذه المرة، فسألتها منيرفا:

«وهل أخبرت أنت نيك بذلك؟ بعد أن ماتت أختى».

«نعم بالطبع لقد أخبرته. كان يعرف بالفعل وقال لى إن ذلك لم ن شيئا مهما».

كان من الواضح على جوليان أنه لم يقنعها لكنها هذه المرة قررت م الحديث قائلة:

«حسن. على أن أعود للعمل».

ذهبت جوليان فى الثانية عشرة، وبعد أن تناولت منيرفا غذاء خفيفاً

خرجت للتنزه قليلاً ورأت فى طريقها كلبين من كلاب نيك ما أن رأياها حتى أخذا يلوحان بذيليهما فيما اعتبرته هى تحية لها فابتسمت لهما واتجهت هى نحو الحديقة الكبيرة الممتلئة بالأشجار الطويلة التى جعلتها أشبه بالغابة. أخذت منيرفا تفكر وهى تسير بين النباتات والأشجار شاعرة بأن أحدا لن يصل إليها هنا أو يقاطعها. لماذا ذهبت ستيلا للطبيب؟ وكذلك لم يذكر أحد شيئاً من ذلك فى التحقيق الذى أعقب الوفاة؟ هل تمتد سرية الحالات الطبية حتى بعد موتها؟ شعرت منيرفا بحزن شديد يغمرها وهى تتصور ستيلا العزيزة وحيدة حزينة. لم تكن منيرفا من النوع الذى يستمتع بالغموض والأحداث المبهمة خاصة إذا تعلق ذلك بتعاسة شخص آخر ومن؟ أختها العزيزة..

ماذا تعرف جوليان أيضاً عن نيك غير أنه مالك جيد ومزارع جيد؟ ولكن ماذا عن مزاجه المتقلب الذى يتحول أحيانا إلى ممارسة العنف؟ بالتأكيد لم يكن زوجاً جيداً وإلا كان سيشعر بما تعانيه ستيلا. ثم قفزت إلى ذهنها تلميح جوليان إلى أنهما كانا ينامان فى غرفتين مستقلتين، ماذا يعنى ذلك؟ بغض النظر عن مساعدته لهيلين كى تسافر لابنتها، وبغض النظر عما كتبته عنه ستيلا فى خطاباتها، عن ظرفه وأسلوبه الراقى، إلا أن شخصية الرجل لايمكن أن تتغير. قد يسلك سلوكا غريبا عليه لفترة ثم لايلبث أن يعود لطبيعته الحقيقية.

يبدو أنه أقنع ستيلا بأنه الرجل الذى أرادته ولكنها عندما اكتشفت عكس ذلك أحست بالاكتئاب وانتحرت.

فبرغم كثرة تجاربها العاطفية لم تكن ستيلا تستمتع بها. كانت تقيم علاقات كثيرة فى محاولة للعثور على الرجل الذى يناسبها حقاً،



وكانت تعطى رفاقها ما يريدون وهى مؤمنة أنهم لن يستطيعوا أن يأخذوا شيئاً رغما عنها لكنها لم تكن تبالى كثيراً .كانت رومانسية لدرجة كبيرة وقد جعلها ذلك هشة المشاعر هل كان الأمر كذلك مع نيك؟هل كان قاسيا معها واتبع أساليب حقيرة؟

عندما ظهر نيك فجأة فى الحديقة كأحد الأشباح أوالمردة الذين يظهرون بعد العواصف فى الحكايات الخيالية شعرت مينرفا وكأنها أحست بوجوده قبل أن تراه ربما بالفطرة أو ربما لأنها مشغولة بأمور تقليدية كان عليها أن تعترف لنفسها أنها تريده، وأن هناك ما يجذبها نحوه رغم أنها تريده،وأن هناك ما يجذبها نحوه رغم أنها لم تقابله سوى من يوم واحد. كانت تعرف أن هذا الرجل خطر للغاية فهو يمكنه أن يبقى عواطفه حبيسة إرادته.كانت تود لو تتأكد أنه برئ تماماًمن موت ستيلا تقضى على هذا الشعور الباطن بالذنب تجاه أختها للإعجاب برجل ما ربما يكون له يد فى وفاتها.

أخذت نفسا عميقا لكى تعيد ترتيب ذهنها للقائه الذى لن يكون طبيعياً على الأقل من ناحيتها بعد أن عرفت من چوليان حكاية ذهاب ستيلا للطبيب. كان عليها أن تكون عاقلة فيما تقول وتفعل، كل ما عليها هو أن تقاوم ضعفها المخجل تجاه ذلك الرجل. كان نيك قد دخل المنزل مباشرة دون أن يلاحظها وقد أراحها ذلك فلم تكن مستعدة للكلام معه قبل أن تنفرد بنفسها قليلاً،استدارت مينرفا وأخذت الممر المؤدى إلى باب القلعة الاسبانية .كان نيك جالسا فى مكتبه عندما عادت للمنزل، نبض قلبها بشدة عندما رأته فتوجهت نحوه مباشرة وقد وضعت على وجهها ابتسامة مصطنعة:

"مرحبا"

قالت ذلك وللحظة شعرت أن هناك مسحة من الكراهية فى الطريقة التى ينظر بها إليها لكنها سرعان ما شعرت بغباء تلك الفكرة وقال هو:

"مرحبا.هل ذهبت جوليان؟"

"نعم. لقد عدت مبكرا". قالت ذلك بلهجة شعرت معها وكأنها تتهمه بالعودة مبكرا.

"نعم. لقد ألغى الموعد لظروف طارئة".

فقالت و هى تشير بيدها لخارج النافذة وتبتسم بتصنع :

"إن حديقة المنزل رائعة. بها نباتات نادرة واشجار تبدو كأنها منذ بداية العالم فى مكانها لم تبرح أبداً " فقال وكأنه يؤمن على كلامها:

"نعم. إن الحديقة هى مكان أمى المفضل. لقد كانت تذهب فى رحلات فى طول نيوزيلندا وعرضها لتحصل على بعض النباتات النادرة والمشاتل. حتى عندما ذهبت لامريكا عادت ومعها بذور لنباتات نادرة.

ذهبت مينرفا للنافذة المطلة على الحديقة متظاهرة بأنها مستغرقة فى جمالها تماما وكأنها لا تشعر بالرجل الواقف بجانبها .لم تدر لمَ تذكرت فى تلك اللحظة تجربتها المهينة مع بول. اختطفت نظرة اليه وهو منحنى على مكتبه يبحث عن بعض الاوراق فقالت فى نفسها لابد ان ستيلا كانت تحترق بالحب أو الغيرة على هذا الرجل الذى قد يحب امرأة ولكن لا يعترف بذلك أبدا. سألته مينرفا بغتة:

"هل لديك أنشطة اجتماعية هنا ؟".



فقال ولم يبد عليه أى أثر أنه فوجىء بسؤالها:

"نعم. أنا عضو فى كثير من اللجان ". وبعد أن أومأت برأسها وكأنها تقول له "أحسنت" واصل هو:

"إن اللجنة التى ألغى موعدها اليوم أكثرها أهمية فى رأيى وافضلها لدى. فهى تساعد صغار المزارعين على أن يمتلكوا مزارع صغيرة يبدأون بها حياتهم العملية."

هل هذا ما كانت تعنيه جوليان؟ يا ترى هل يعرف أن هناك من يحاول الاستفادة منه لذلك يخدمه؟ نظرت مينرفا إلى وجهه إلى الملامح كان ينظر فى بعض الورق ثانية وقد تمنت فى تلك اللحظة أن تنظر فى هذة الملفات ربما يكون فيها شئ بخصوص ستيلا ولكنها ما لبثت أن شعرت بسخافة فكرتها. ربما كان من طراز الاثرياء التقليديين الذين يصنعون قناعاً من الحزم والشدة على وجوههم حتى لا يفكر الآخرون فى استغلالهم .

لقد قابلت تلك النماذج دائما وهى تعمل لديهم فى الفنادق أو فى أماكنهم الخاصة. ولكن ألم يخرج فى المطر ليأتى بفرانك؟ قالت ببطء لتزن كلماتها:

«لم أكن أعرف أن فى القطاع الزراعى هناك لجانا من ذلك النوع. لقد بدا لى أن الزراعة تتدهور فى نيوزيلندا».

فقال وقد بدا عليه أنه أكثر اهتماماً الآن:

«لقد تجاوزنا أزمات كثيرة بالفعل فى الأعوام الاخيرة، لذلك يجب البدء من المزارع ثم الدولة كلها بعد ذلك، المزارعون أولاً».

«ألا يزعجك أن مستقبلك مرهون أما بحالة الجو أو بحالة الأسواق المستهلكة فى دول أخرى؟».

تذكرت بعد أن طرحت سؤالها أنه لم يكن من المهددين بتقلبات السوق فقد كان لديه عمله التسويقى الخاص لكنه قال ولم يبد عليه أنه شعر بغباء ملحوظتها:

«الناس سيأكلون دائماً، هم بحاجة لذلك. والمزارعون هنا من الأفضل فى العالم كله. لذلك أنا لم أفقد ثقتى أبدا فى العمل الجاد وفى مزارعى نيوزيلندا الأشداء».

فقالت وهى تحاول أن تتجاهل تلك الرغبة التى بدأت تشعر بها بداخلها، فالحديث عن الزراعة كان أسلم من أى نوع آخر:

«يبدو أنك تزرع الكثير من الأشجار فى أرضك كما هو الحال فى حديقة المنزل».

فأومأ برأسه مبتسماً وقال:

«نوعاً ما».

أبقت مينرفا عينيها مسلطتين على البوابة الكبيرة وقالت مصرة على عدم تغيير الموضوع:

«ما الداعى لكل هذه الأشجار؟».

فابتسم قائلاً:

«العالم بحاجة للخشب والورق كحاجته للطعام، كما انها تفيد التربة فتساعد على الإقلال من استخدام الكيماويات كما تساعد طبقة الأوزون على ألايتسع الثقب الذى بها. ما هو لون عينيك؟».

باغتها سؤاله فارتفعت رموشها فور أن سمعته واتسعت عيناها. نظرت إليه فوجودته يحملق فيها دون أن يكون هناك أى تأثير لسؤاله على وجهه فعاودت النظر من النافذة للحديقة وهى تعلم أنه لا يزال



يراقبها وقد انحرفت زاوية فمه بابتسامة ساخرة ثم قال فى هدوء:

«أقدم خدعة فى الكتاب. أنا أعرف أنهما زرقاوان».

فقالت بعد أن ابتلعت ريقها لتعالج جفاف حلقها:

«لا، أعنى نعم هما زرقاوان».

«لون منتصف الليل فى الصيف، عندما تكون السماء صافية».

سيبدأ فى الحديث عن منتصف الليل وعن النجوم، لا لن تسمح لذلك بأن يحدث لها ثانية أنه يحاول الإيقاع بها فى شراكه أو ربما يبحث عن تسلية. لقد عاودتها ذكرى بول بإلحاح، الذكرى المهينة المخجلة. لم تثق أبدا بالرجال الذين يسيرون ممتلئين بالثقة من جاذبيتهم وسحرهم. ها هو ذا وحش آخر من الوحوش لكنه ينتمى للطبقة الأرستقراطية. فقال وقد رفع أحد حاجبيه فى لهجة قوية:

لقد كنت أعتقد أن اللون الأسود هو لون منتصف الليل».

«لا. إنه أزرق داكن للغاية يمكن للمرء أن ينسى نفسه وهو ينظر إليه».

رغم حرصها وحذرها منه إلا أن صوته قد لمس وترا عميقا داخلها جعلها تتخيل نفسها فى شرفة القلعة تشاهد معه الليل الأزرق، لكنها أخذت تقاوم لتستعيد طبيعتها العملية فقالت بلهجة حاولت أن تجعلها جافة:

«إن ذلك يبدو جميلا لكنه فى الحقيقة لا يعنى الكثير».

وما إن انتهت من جملتها حتى ضحك هو وقهقه عاليا. كانت أول مرة تراه يضحك فيها وقد تساءلت هل يضحك سخرية منها أم لأنه

عرف أنها تفهم جيداً ما يرمى إليه من حديثه عن لون منتصف الليل الأزرق.

لكنه قال:

«ربما لا يعنى ذلك الكثير بالنسبة لك، لكنك على أى حال لك عينيان رائعتان وأنا متأكد أنك أخبرت بذلك قبل».

فقالت وهى تنظر نحو الباب:

«أحياناً. أنت أيضاً عيناك جميلتان، كذلك كانت عينا ستيلا. يبدو أنه شىء وراثى. على أن أذهب لأعد العشاء».

قال وقد وضح عليه أنه لم يتأثر نهائياً بذكر اسم زوجته الراحلة:

«سآتى معك».

* * *

تناولا العشاء معا ثانية فى تلك الليلة ، ولحسن حظها فقد عاد لمكتبه بعد العشاء ليكتب بعض الرسائل أو ليفعل ما يحلو له، كانت مينرفا تريد أن تقرأ قليلا فى حجرتها. لكنها لم تستمر فى القراءة طويلا بل أطفئت نور المصباح الموضوع. بجانب فراشها وحاولت النوم. لكن فى هذه الليلة لم تتمكن من النوم حتى تتأكد أنه صعد لغرفته ونام.

كانت حجرته المقابلة لحجرتها فى الردهة الطويلة بالطابق العلوى والتى اشتملت على كل حجرات النوم فى القلعة الضخمة. يا ترى هل كانت تشعر ستيلا بالوحدة فى تلك الحجرة وهى تنتظر عودته كل لليلة؟ هل كان يخرج كثيرا ويتركها بمفردها؟ حاولت أن تتخلص من أفكارها لتنام لكن ظله كان يطاردها حتى وهى مغلقة عينيها.



لقد كان فيه نوع آخر من الجاذبية لا علاقة له بشكله و ملامحه الوسيمة. شخصيته المسيطرة الآمرة التى وضح أنه يفرضها على كل من فى المكان. لا ليس كبول المراهق وليست هى كما كانت منذ ستة أعوام. أنه رجل ناضج يعرف ما يريد من الحياة وهى شابة سافرت كثيرا وقابلت أناسا من مختلف الأنواع، وعليها أن تتعرف بشكل ناضج. ربما يود لو يقيم معها علاقة عابرة فمعظم الرجال لا يجدون صعوبة فى ذلك. لقد ماتت زوجته منذ عام فما المانع لديه من أن يتسلى قليلا ولكن مع أختها؟ إن ذلك يبدو فظا لها على الأقل. أما الرجال فنظرتهم، لتلك الأمور تختلف. إن شعورهم بالولاء يختلف عما تشعر به النساء. حتى لو كان حزن عليها حقا فلن يمضى بقية عمره راهبا فى محراب الحداد. لقد كانت غبية بأن ترقد فى سرير أختها وتسمح لرغبة مجنونة أن تتحكم فى ذهنها بهذا الشكل، رغبة مجنونة لكنها قوية. لكنها قررت أن تتجاهل تماماً ثرثرة چوليان، واتخذت قرارا آخر بألا تدع جاذبية نيك تسحرها. ستبقى حتى ينتهى حفل العشاء ثم تغادر المنزل متعللة بأى شىء.

كانت هيلين قد اتصلت فى المساء لتطمئن على أن كل شىء على ما يرام بخصوص العشاء.كانت تود أن تبقى أسبوعا آخر مع ابنتها فحالة المولود لم تكن جيدة. وقد طمأنتها مينرفا تماماً. عندما عاد نيك أخبرته بحالة هيلين فوافق على بقائها أسبوعا آخر لكنه أكد لها أنها ليست مضطرة للبقاء بعد انتهاء عشاء السبت،

لم تكن لديها رغبة فى البقاء لكن إعلانه بأنه لا يمانع فى ذهابها سبب لها بعض الضيق. وهى راقدة فى فراشها أخذت تستعيد ما حدث

بينهما على العشاء. لم يتحدث كثيرا ولكنه بدا عليه أنه يشعر بالحواجز التى تضعها بينها وبينه.

بدا لها وكأنه رأها لا تستحق عناء أن يختبر قدراته معها، ورغم أن ذلك أراحها إلا أنه أشعرها بنوع من الإهانة وكأنها من فصيلة أدنى من النساء. لقد أخبرته أنها ستبقى ثلاثة أو أربعة أيام فلم يكن من الذوق أن تتركه وحده دون طهاة وكان تبريرها لذلك أنهما «عائلة». لكنه قال بلهجة مؤدبة:

«هل تفعلين هذا لأى عضو فى العائلة يا مينرفا؟».

«نعم». أجابته بسرعة وحزم فلم تعجبها اللهجة المؤدبة المتسللة فى صوته. لكن طالما كان الحديث سطحيا ورمزيا هكذا لم يكن هناك حاجة لأى نوع من التروى. فقال وكأنه يقرر حقيقة:

«إن عائلتك مهمة جدا لك».

«جدا».

«ومع ذلك فقد أمضيت سنين طويلة بعيدا عنهم».

فقالت بتقطيب:

«وما دخل هذا بأى شىء آخر؟».

فقال دون أن يرفع بصره من عليها:

«لا دخل له على ما أعتقد. لقد كان والدك أرملا عندما قابل روث أليس كذلك؟».

«نعم. لقد كانت أمى قعيدة الفراش لثلاث سنوات قبل أن تموت. وبعد وفاتها بأربعة أعوام قابل والدى روث وتزوجا. كنت أنا فى العاشرة وستيلا فى الحادية عشر. وقد خاف والدانا من أن نكره بعضنا



البعض ونسبب لهما المشاكل لكننا فاجأنا الجميع بأن أصبحنا صديقتين حميمتين فى غير زمن طويل وكأننا شقيقتين بالفعل.

لقدتضايقت ستيلا من أبى قليلا فى البداية لكنها بعد ذلك أحبته. أما أنا فقد أحببت روث للغاية لأنها كانت تعاملنى كأبنتها تماماً».

فقال نيك:

«إن روث لديها قدرة كبيرة على الحب».

تسأءت مينرفا عما كان يشغل تفكيره وهو يقول ذلك فسألته بدورها:

«وماذا عن والديك؟».

فقال بشكل عادى:

«لاشىء غير طبيعى. مات أبى وأنا فى الرابعة والعشرين، وبقيت أمى هنا لعامين حتى تزوجت ثانية وذهبت مع زوجها إلى سنغافورة. وقد أحببت روث للغاية، فلم يكن لدى شىء آخر أفعله سوى أن أحبها بعد أن عاملتنى بمنتهى الرقة والعطف».

فقالت بحب استطلاع:

«هل أردت البقاء فى القلعة بعد وفاة والدك و رحيل أمك؟».

تحركت كتفاه العريضتين قليلا وقال:

«لا، لكن التقاليد أقوى من أن يحاربها إنسان كما أننى - وهذه حقيقة - أحب هذا المكان».

«هل تندم على ذلك؟».

لم تتيقن أن السؤال شخصى جدا إلا بعد أن خرج من فمها لكنها تعجبت عندما أجاب بصراحة شديدة وأصبح وجهه أكثر تعبيرا عن الضيق وهو يتحدث:

«نعم. لقد شعرت ستيلا بالوحدة والعزلة هنا. كثيرا ما أفكر كانت الأمور ستستقر لوكنا رحلنا لأوكلاند مثلاً».

فقالت كأنما تخفف من حزنه:

«لن يفيد التفكير. لو كانت فقط طلبت مساعدة م أحد. لقد أحزنت الجميع. روث المسكينة يملأها الإحسا بالذنب ولو لم تقنع نفسها بأنها غير مسئولة فستنتهى حتى لانهيا عصبى».

فقال بصوت محايد:

«أعلم ذلك. لقد اعتقدت أن ستيلا ربما كانت تكتب لك».

«لا..أتمنى لو كانت فعلت».عضت شفتيها مترددة ولكنها كا يجب أن تسأله:

«لكن ألم يظهر عليها شيء يا نيك. لقد قالت روث أنه لم يك هناك شيء لكن من المستحيل أنها فقدت عقلها هكذا فجأة. لابد وأ كانت هناك بعض الدلائل..».

فقال بثبات:

«لم يظهر عليها نهائياً أنها من الممكن أن تنتحر».

شعرت أنه لا مجال لمزيد من الأسئلة وقد بدا عليه أن لا يود مواصلة الحديث فقد أغلق عينيه واستلقى برأس على ظهر مقعده. قال دون أن يفتح عينيه:

«إذا استيقظتى مبكراً غدا سآخذك فى تمشية لغابة أشجا الكيورى».

فسألته:



«هل هذه الأشجار التى يمكن رؤيتها من نافذة الطائرة كما يقولون؟»

«نعم. لا يمكن أن تأتى لنورثلاند وتذهبى دون أن تشاهديها. ورغم أن الأشجار هنا ليست فى حجم الأشجار على الساحل الغربى إلا أنها تدل على أى حجم يمكنها أن تصل».

كانت قد أوشكت على الرفض بأدب لكنها عدلت عن ذلك. فالزيارة للغابة لن تؤدى لتصرف غير مسئول تندم عليه بعد ذلك. فقالت ببطء:

«وهو كذلك»،

فتح عينيه وأدار وجهه حتى رأت جانبه فى ظل الضوء وكأنه مصور فى لوحة زيتية لفنان كلاسيكى،

قال وهو ينهض ليتجه لمكتبه:

«غدا صباحا إذن فى السادسة والنصف، ارتدى ملابس دافئة وحذاء طويلا، تصبحين على خير».

تذكرت مينرفا وهى راقدة فى فراشها مغمضة العينين وشعرت بدفء فى أوصالها جعلها تبتسم وتحلم بنزهة جميلة فى الغابة السحرية...

# الفصل الرابع

قادهما ممر مرصوف إلى تل صغير بدا لها فى ضوء الصباح الباكر وكأنه صخرة عظيمة ملقاة على الشاطىء. كانت الأعشاب الطويلة ذات لون أخضر داكن بدا وكأنه يلمع فى ضباب المصباح. وعلى مقربة بدت الأشجار الضخمة كأنها سور عال يحيط بالغابة ويحميها من الدخلاء. كانت الأشجار تبدو صلبة للغاية وعالية لا يمكن رؤية آخرها بسبب الضباب، وقد كادت مينرفا تنزلق أكثر من مرة لكن نيك كان على مقربة منها يمسك بذراعيهاو يحميها من السقوط على الأعشاب الندية حتى تستعيد توازنها. كانت تشعر بحرارة شديدة فى جسدها تزداد كلما يقترب منها أو يلمسها. وقد شعرت بطمأنينة داخلية عندما بدأت الطيور تغرد وهى تنطلق من أوكارها فى جماعات كبيرة. أخذت مينرفا تشاهد منظرها الجميل وتستمع لتغريدها لتحاول تقليل التوتر الذى يسببه وجود ذلك الرجل لديها، وبجانب أصوات الطيور لم تسمع سوى صوت تنفسها السريع. وقف نيك بجانبها وأخذ يجول بنظره فى المكان حولهما وقد بدا عليه أنه ينوى البقاء صامتا فقالت بهدوء بصوت يكاد يرتعش:

«إن هذه الأشجار رائعة فعلاً، لقد رأيت أشجارا أطول منها لكنى لم أر مثلها فى كثافة أوراقها وامتداد غصونها لهذه الدرجة، إن رؤيتها تجعلنى أتمنى لو كنت أول شخص يضع قدمه على أرض نيوزيلندا وأراها وهى تبدأ فى النمو دون أن تمتد لها يد انسان».

فقال وقد بدا على صوته أنه تأثر بكلامها:

«تودين لو تضعين قدمك فى الأرض المهجورة».

رغم أنه من المغرى أن يشاركها النظرة والمشاعر إلا أنه كان عليها أن تبقى هادئة ومتحكمة فى عواطفها بل وقاسيةأيضاً. ليس هناك مستقبل لهذا التجاذب المفاجىء. الكرامة والعقل وعلى كل الظروف المحيطة تحتم عليها أن ترفض أى عاطفة غبية تجاهه. فقد علمتها تجربتها مع بول أهمية احترام الذات. فقليل من المعاناة الآن سيوفر عليها قدرا عظيما من الألم بعد ذلك. لو استسلمت لغريزتها الآن ستنتهى بقلب محطم بدلا من قلبه المشروخ الآن بالفعل. ولكن حتى يغادرا هذا المكان عليها الاستمتاع بسحر اللحظة الراهنة. وبعد وقت غير طويل نظر نيك فى ساعته قائلاً:

«علينا أن نذهب».

وفى السيارة وهما فى طريق العودة بقيا صامتين تماماً. ورأت مينرفا اللافتة التى قد تدل على الطريق بعد أن تم إصلاحها متسائلة فى نفسها هل كانت ستذهب لو كانت تعلم ما ينتظرها هناك. لا بالطبع لا فلم تكن غبية.

كانت ستعود أدراجها لأوكلاند ولا تتوقف حتى تبدأ فى عملها الجديد فى بريطانيا. فليس هناك من يبحث عن التعاسة.



قال فجأة وكأنه يعد طفلة صغيرة بشىء ما لو أحسنت التصرف:

«فى يوم سنرى بزوغ الفجرمن أعلى القلعة الأسبانية، إنه منظر يستحق الاستيقاظ فى الظلام لرؤيته».

فقالت بصوت ملىء بالانسحاب كما لو كانت تتراجع عن دخول معركة ما:

«أنا متأكدة من ذلك».

لم تستطع مينرفا تصور نيك غارقا فى حب امرأة لدرجة أنه يتزوجها بعد التعرف عليها بشهر واحد، وهى ستيلا والتى رغم كل شىء يبدو أنها اقتحمته بشكل من الصعب تصوره. ولأول مرة منذ أن بلغت مينرفا سن النضج تمنت لو كانت أكثر من مقبولة شكلاً. تمنت لو كان فى وجهها ملامح أجمل من عينيها الواسعتين الزرقاوين فحسب. أما الآن فلا تتصور أن لديها تلك الجاذبية الجنسية التى تجعل الرجال يتتبعون أثرها. حسن كل ما عليها الآن هو أن تتجاوز تأثير أرمل أختها عليها وتتذكر محاولة بول لاغتيال كرامتها واحترامها لذاتها من ستة أعوام.

* * *

اليومان التاليان كانا ممتلئين للغاية. أخذت مينرفا تعد لحفل العشاء بكل ما أوتيت من جهد ومهارة ووجدت أن من السخرية وهى الفتاة العاملة التى تخطط لمستقبلها أن تبين عواطفها تجاه الرجل فى أكثر الأساليب تقليدية: تطبخ له.

كان نيك بالخارج فى الليلة التى سبقت العشاء وقد ذهبت مينرفا لفراشها مبكرا سعيدة بخصوصيتها رغم أنها تساءلت فى غيرة عن

مكانه....هل ذهب لچنيفيف تشاتسوود؟ ربما. لقد اتصلت به مرتين تلك المرأة التى يبدو عليها أنها لا تيأس بسهولة، وفى المرتين لم يكن موجودا وردت عليها هى ولاحظت أنها لا تطمئن لوجودها فى المنزل. وفى إحدى المرتين اتصلت وچوليان موجودة معها فى المنزل وقد بدا عليها الامتعاض الشديد عندما ذكر أمامها اسم چنيفيف ووصفها بأنها إحدى الساقطات من الطبقة الراقية. ورغم أن مينرفا لم تؤيدها فى ذلك إلا أنها وافقتها فى سرها.

من حسن الحظ أن چنيفيف لن تأتى للعشاء فلديها موعد عمل مهم عليها أن تسافر من أجله لأوكلاند صباح السبت.

ولكن مينرفا كرهت ذلك. كرهت الشعور بالغيرة تجاه چنيفيف وكرهت ذلك الشعور بالوحدة والوحشية كلما تخيلت أى امرأة أخرى بين ذراعى نيك. كرهت عدم قدرتها على الندم حتى تتأكد من عودتها قبل كل شىء. كرهت عدم قدرتها على السيطرة على مشاعرها. لكن ليس هناك ما يمكنها عمله حتى تترك نيك والقلعة الأسبانية وراء ها، عليها أن تعبر وتفعل ما عليها تأمل ألا يحدث لها ما يجعلها تندم لست سنوات أخرى!!

سمعت سيارته وهى تدخل للجراج حوالى الثانية صباحاًفتنفست مينرفا الصعداء، يمكنها على الأقل أن تنام الآن. أخذت ترهف السمع لتتأكد أنه دخل حجرته لكنها سمعت وقع أقدامه يتوقف أمام حجرتها فشعرت للحظة بالخوف لكنها ما لبثت حتى همس باسمها. لابد أنه يهمس هكذا كى لا يقلقها لو كانت نائمة. نهضت بسرعة لتفتح الباب



دون أن تفكر فيما إذا كانت تفعل الصواب أم لا. وقد نظرت فى رعب إلى وجهه الشاحب والمنشفة الغارقة فى الدماء التى كان يضعها حول يده.

فقال بصوت متعب:

«لا أستطيع تضميدها بنفسى. هناك خزانة إسعافات فى حمامى. هل يمكن أن تساعدينى؟».

«نعم بالطبع». قالت ذلك وأسرعت لتلتقط روبها وتحكم ربطه حول وسطها جيدا وهى تتبعه الى غرفته ومنها إلى حمامه الذى كان شبيها بحمام غرفتها تماماً. أو حمام غرفة ستيلا على الأصح.

جلس على الكرسى الكبير فى جانب الحمام وتركها تربط يديه. ازدادت سرعة تنفسها عندما رأت آثار مخالب وأسنان حادة على يده ومعصمه الأيمن. فسألته وهل تغسل إحدى المنشفات بالماء.

«ماذا حدث بحق السماء؟».

عاد بظهره للوراء وقال وهو يراقبها وهى تتناول منشفة جديدة:

«كان علىّ أن أقتل نمساً».

«بدون سلاح! ثم ما الذى وضعك فى طريقه؟».

وضعت بعض الضماضات والمراهم على يده، ورغم أنها كانت مؤلمة إلا أنه لم يرمش بل قال بنفس الصوت الثابت:

«كنت عائدا ورأيته على ضوء السيارة ملقياً فظننت أن أحدهم صدمه بسيارته. فأوقفت السيارة لأزيحه بعيدا عن الطريق إلا أنه لم يكن قد مات بعد فتعلق بذراعى ونشب مخاليه فى يدى كما ترين».

كان وجهها قريبا من وجهه وقد تمكنت من أن تشم رائحة البراندى

تنبعث منه بينما ثبت هو عينيه على وجهها تماماً.

«لقد قتلته بعد أن ضربت رأسه على حجر كبير ثم أجهزت عليه بحجر آخر. إنه حيوان حقير عندما يقاتل».

قالت مينرفا وقد ارتسم الامتعاض على وجهها:

«حسن لقد انتهينا». ثم وضعت الضماضات والأدوية فى مكانها بخزانة الاسعافات. قال وهو يغلق عينيه:

«الموت على مراحل شىء حقير وقاس، ليس هناك أفضل من الميتة المفاجئة السريعة لأى مخلوق.

لم تكن جروحه عميقة لكنها بدت مؤلمة وحارقة فقالت مينرفا:

«ألن تتناول شيئا لهذه الجروح؟».

«هناك بعض المضادات الحيوية سآخذها لبضعة أيام ولو أنى أعتقد أنى لست بحاجة لها».

قالت بهدوء وهى تضع يدها على يده المجروحة:

«أعتقد أنه عليك الذهاب للطبيب أول شىء فى الصباح سأقودك اليه».

فقال وهو يشير بيده فى لا مبالاة:

«لا تزعجى نفسك».

فقالت وقد تأكدت أن عليها أن تظهر اهتمامها:

«لست منزعجة. فبعض عضات الحيونات تكون خطيرة ويمكنها أن تسبب نوعا من المرض. من الاهمال ألا تفعل شيئاً حيالها».

كان صوتها رقيقاً وكأنها ترجوه وقد ابتسم هو ابتسامة واسعة.



كانت مينرفا تعلم أنها ترتدى قميصاً خفيفاً من القطن يبرز تفاصيل جسدها ولكنها لم تفكر طويلاً قبل أن ترتدى الروب الشفاف الذى لم يخف الكثير.

فقال بتسليم وقد قام ليغسل وجهه:

«حسن، ولكن أن يكون ذلك مبكراً. فالغد مشحون بالعمل».

«حسن، سأراك فى الصباح»

فقال وقد انتصبت قامته أمامها تماماً

"شىء آخر، هل يمكن أن تساعدينى فى فتح أزرار الاكمام إنها صعبة قليلاً

للحظة شعرت بتجمد، لكنها قالت "بالطبع" محاولة أن تجعل صوتها يبدو طبيعيا .

لم ترتعش وهى تفك له أزار الاكمام، حتى هى تعجبت من ذلك كانت أنفاسه المشبعة برائحة البراندى تلفح وجهها الذى صعدت له الحرارة من طول قربها منه لما يقرب من عشرين دقيقة فى مكان ضيق وحدهما شعرت وكأن أعصابها تقفز وهى تفك له الازرار وما أن انتهت حتى ابتعدت قائلة :

"ها هى ذا ، ليلة سعيدة سأراك فى الصباح ".

فابتسم لها وقال:

"شكراً مينرفا لاهتمامك بى ولعلاجى".

ودون أن تشعر بحركته كان قد انحنى قليلا بوجهه على وجهها وقبلها قبلة سريعة لكنها شعرت بحرارتها على شفتيها. شعرت مينرفا برغبة عارمة فى احتضانه لكنها تذكرت بسرعة أن عليها ألا تصور

لنفسها الامور بشكل على غير ما هى عليه فليست سوى قبلة امتنان وشكر، لكن المفاجأة هى التى صنعت كل ذلك . ولكنها شعرت بأن القبلة ستبقى على شفتيها طويلا طالمامازال ينظر اليها هكذا ، وفجاة أشاح بوجهه عنها الى المرآة ثم قال:

اللعنة. لقد حاولت ألا أدع ذلك يحدث منذ أن رأيتك."

شعرت به داخل كل خلية من خلايا عقلها وجسدها معا ولكن كانت لديها الارادة والقدرة أن تبعده عنها بذراعيها دون أن تهينه ، لكنها تذكرت فجأة ألا مستقبل لهما معا كما أنها لم تقابله الا منذ يومين مما يجعل تصرفها معه غير مسئول ومضيع لكرامتها . ولكنها ماإن أبعدته عنها حتى جذبها ثانية وهو يتمتم "لا"وبدأ يقبلها ثانية. كان عقلها الباطن يصيح بها بأن ما تفعله هذا غير ممكن،مستحيل،لكن حتى هذه المقاومة الأخيرة لم تستمر طويلا. لقد تساءلت دائماً كيف يكون عندما يزيل هذا الستار من على عواطفه ، والآن لقد عرفت. الرغبة والحرارة ،انه يعرف تماما ما يريده وكيف يصل إليه وما يريده الآن هو استسلامها الكامل. لقد كان ينضح بالرجولة، قوى ومغرور حتى وهو يطلب شيئاً. ولكنه فجأة وبدون مقدمات دفعها بعيدة عنه حتى إنها كانت ستسقط لولا أنها استندت على الحائط ونظرت اليه برعب بينما اشاح عنها بوجهه واعطاها ظهره ولم تفق من الصدمة الا على صوته وهو يصرخ:

"اذهبى بعيداً عنى"

وقفت لبرهة لا تدرى ماذا تفعل وقد رأت صورتها فى المرآة منهكة



ومتعبة وتذكرت يوم أن تخلى عنها بول. نعم نفس الشعور بالمهانة والضياع. أسرعت خارج الحمام لغرفتها واغلقت بابها عليها ثم اوصدته بالمفتاح.

ما اتبع ذلك كانت أطول ليلة قضتها مينرفا. أخذ الشعور بالاهانة يأكل روحها وهى راقدة على الفراش ليست لديها القدرة أن تبكى بصوت مرتفع. كان شعورها بالضياع يملأ كيانها لدرجة أنها لم تجد القدرة على إخراج أى صوت بينما انسابت الدموع على خديها. كيف سمحت له أن يفعل بها ذلك؟ هل فقدت عقلها ؟و فى وقت ماقرب الفجر قررت أن تضع حدا لذلك.لن تذهب وتتركه لا. فهى شريكة فيما حدث ولكن لن تسمح له بأن يفعل معها أى شىء حتى ينتهى ذلك العشاء الملعون ثم تذهب إلى الأبد. لقد كانت تعرف أنه ينجذب اليها، لكنها ليست مسئولة عن عقده النفسية وتغير حالته لكى يعاملها بهذا الشكل الفظ. ليس هى من يجب عليها أن تشعر بالخجل والإحراج بل هو. فى الغد سترفع رأسها عاليا. كان من السهل أن تصل لهذه النتيجة لتحفظ كرامتها على الاقل أمام نفسها. كان من الصعب عليها أن تلقاه على مائدة الافطار بوجه بدا عليه الارهاق الشديد و الأرق.

قال بصوت هادىء لا أثر للتعجل فيه:

"أنا آسف لأننى كنت فظا للغاية الليلة الماضية"

صمتت مينرفا لأنها لم تثق فى قدرتها على البقاء صامدة وقوية أمامه، فقطب هو لكنه واصل ببرود:

«لقد فقدت السيطرة على نفسى. لو لم أضع حدا لما كان سيحدث

كان الأمر سينتهى نهاية غير مرغوبة من كلينا » لابد أنه كان هناك عدة وسائل تخبره بها بأنها لا تهتم بأن تعرف أعذاره، لكن ذهنها أصبح خاليا من أية كلمات.

«كما أننى أعتقد أنك تعارضين ذلك مثلى تماماً».

أخيراً استطاعت أن تنطق لكن صوتها كان خفيفاً وهشاً وهى تقول: «نعم».

كان رجلا، خبيراً كان يعرف أنه طالما تعانق رجل وامرأة وتبادلا القبلات فلا يمكن أن يعودا أصدقاء كما كانا، هناك طريق من يبدأه لا يمكن أن يتراجع أبداً. كان كلاهما مدركا لما لا يمكن تجاهله أبداً.

فقال نيك ومازلت رنة الاعتذار فى صوته:

«عندما ينتهى العشاء يجب أن تشعرى بحرية تامة إذا أردتى الرحيل».

انتظر قليلا ليرى ماذا ستقول لكنها بقيت صامتة فواصل:

« لقد اتصلت هيلين هذا الصباح وقد أخبرتنى بتحسن حالة ابنتها والمولود، ولكنها ترغب فى البقاء معهما بالطبع حتى تتأكد أنهما سيستطيعان الاعتماد على نفسيهما دونها».

على الأقل هيلين موضوع محايد لكنها وجدت نفسها متساءلة:

«كيف حال يدك الآن؟».

لم يحدث لهما منذ التقيا أن تبادلا الحديث بهذه الطريقة الحذرة والرسمية، بحاجة صادقة لأن يخفى كل منهما مشاعره عن الآخر، ولكن على الرغم من العواطف المتضاربة التى كانت تمر بها،



تمكنت مينرفا من أن تبقى وجهها وصوتها فى حالة من يمتلك زمام أموره تماماً.

«بخير. لقد اتصلت بالطبيب المحلى وسوف يرسل لى بعض الأدوية».

«حسن». تناولت قطعة من الخبز وتظاهرت بأنها تفكر فى عمق فى اليوم المقبل فسألها:

«هل لديك كل ما تحتاجينه؟».

«نعم».

حاصرها ما حدث الليلة الماضية طوال هذا اليوم وكان هناك حمل ثقيل فى وعيها الباطن، لكن لحسن الحظ لم يكن لديها وقت لتفكر فيما حدث بينهما لانشغالها بالاعداد للعشاء. چوليان أيضاً كانت تعمل بأقصى طاقتها. فقد أمضت الصباح كله فى التنظيف والتلميع ثم قامت بكى المفرش الكبير الذى سيوضع على مائدة الطعام بعد أن انتهت من تناول غذائها.

قالت چوليان وهى تقوم بكى الفرش:

«لقد قمت بعمل أفضل من هيلين. إنها مجتهدة ولكن ليس لها لمسة جمال. أنها تكتفى بوضع الأطباق المعروفة. على أى حال سأنصرف وأعود فى السادسة. ولكن لا تتركينى فى المطبخ بمفردى طوال المساء فلن أستطيع التصرف وحدى».

«لا تقلقى، سأمر عليك من آن لآخر كلما استطعت، اطمئنى».

قالت چوليان وقد بدا عليها الاطمئنان:

«من سيأتى مع البرازيلين؟».

«النائب المحلى ووزير وشخص ما من النقابة التجارية».

«أشخاص مهمون. كيف يمكنك أن تكونى هادئة هكذا. كانت هيلين ستصبح فى غاية القلق وتسبب توتراً لكل من حولها. أعتقد أنه مجرد عمل عادى بالنسبة لك».

فقالت مينرفا بابتسامة مقتضبة:

«ما زلت أشعر بعصبية أحيانا فى المناسبات المهمة، لكننى أخفى توترى، هذا ما أجيده».

كانت قد تحدثت إلى الولدين الذين سيقومان بتقديم الطعام فى أثناء العشاء، وتأكدت أنهما يعرفان ما عليهما تماما. والآن لم يعد لديها ما تفعله سوى الانتظار جلست فى المطبخ وأعدت لنفسها قدحا من الشاى وهى تحاول ألا تفكر فيما حدث الليلة الماضية. كل ما عليها أن تشرب الشاى ثم تستحم وتستريح قليلا ثم ترتدى ثياب السهرة.

كانت أول مرة تقوم فيها بإعداد الطعام وبدور المضيفة أيضاً لذلك فقد كانت تشعر بقدر قليل من العصبية.

* * *

عندما انتهى العشاء كانت تشعر بإرهاق شديد، فقد استيقظت مبكرا وعملت طوال اليوم فى إعداد العشاء ثم قامت باستضافة المدعوين طوال المساء. لكنها كانت سعيدة وشاعرة بزهو خاصة عندما أخذت عبارات المجاملة والاستحسان تنهال على مهارتها و قدرتها فى إعداد الطعام أمام نيك الذى رغم ما فعله الليلة الماضية إلا أن مشاعرها نحوه قد أخذت تتحرك قليلا. كان



يختلس إليها النظرات طوال العشاء فى أثناء انهماك الضيوف فى الحديث أو تناول الطعام لكنها لم تبد أية استجابة بل كانت تشيح عنه بوجهها كلما التقت عيونهما.

انصرف الضيف الاخير بعد منتصف الليل بقليل وقد وقف نيك بثياب السهرة السوداء أمامها وقد بدا عليه أنه يود لو يقول شيئاً لكنها تحركت بسرعة فى اتجاه المطبخ قائلة،

«سأقوم بغسيل....».

وقبل أن تتم جملتها قاطعها هو فى صوت آمر لكن شعرت فيه بالعطف:

«لا. بل اذهبى مباشرة للفراش. لقد تعبت كثيرا اليوم».

عضت شفتيها قبل أن تتحدث لكنها أطاعت واتجهت للسلالم لتصل لغرفتها. وهى فى منتصف الدرج ناداها هو بصوت بدا فيه نفاد صبر:

«مينرفا..».

وقفت قليلا ثم استدارت لتنظر اليه، كانت عيناه لأول مرة تفضحه. لم تكن هناك النظرة الباردة الخالية من التعبير بل نظرة أخرى مليئة بالرغبة والندم، قالت وهى تشعر بمقاومتها تنهار:

«نعم».

قال وهو يحاول الحفاظ على غروره وكبريائه:

«أشكرك على كل ما فعلتى».

فقالت وهى تحاول الابتسام:

«لا داعى لذلك. فقد سعدت بمساعدتك».

كان قلبها ينبض بشدة وهى واقفة على السلالم تنظر إليه من أعلى،كانت متوترة ومتعبة وفريسة لمشاعر كثيرة متناقضة وفجأة شعرت بدوار وأنها ستسقط من أعلى السلالم فأغلقت عينيها ولم تفتحهما ثانية إلا وهى بين ذراعيه. لم تدر متى صعد وأمسك بها لكنها وجدت نفسها بين ذراعيه وغير قادرة على الوقوف بمفردها، فتحت عينيها وأغلقتهما ثانية فرفعها من على الأرض وحملها تماما بين ذراعيه واتجه بها نحو غرفتها ولم يعبأ بطلبها أن يضعها على قدميها. وضعها على الفراش برقة اكثر مما أرادت ثم بدأ يخلع لها حذاءها فقالت وهى تحاول القيام:

«يمكننى أن أفعل ذلك بنفسى».

«بالطبع يمكنك».

مرت أصابعه على عظام قدميها وصعدت لتدلك ساقيها فشعرت بلذة عارمة وأن عضلاتها تسبح على الفراش فقال:

«إن عضلاتك متعبة للغاية، لابد أنك أجهدت نفسك طويلا اليوم. لا أدرى كيف أعتذر لك».

فقالت وقد حاولت أن تبدو مسيطرة على نفسها:

«سوف يصلح حمام ساخن كل ذلك».

كانت تحاول أن تتجاهل النظرة المليئة بالرغبة فى عينيه، فقالت وهى تحاول النهوض:

«نيك من فضلك اذهب».

فقال وكأنه يتحدث من وراء أنفاسه:

«هل تريدين منى حقا أن أذهب؟».



بللت شفتيها الجافتين بلسانها وقالت بصوت متكسر:

«أرجوك يا نيك من فضلك».

فقال ونظراته تشى برغبته:

«لقد تخيلتك مرارا تقدمين لى ذلك».

كانت نظرته تحرق جسدها كله بلهيبها و إغرائها ودعوتها الخفية وهى ممدة على الفراش أمامة كالقربان المستسلم وقد بدأ يفك رباط عنقه ليقبلها قبلة طويلة ثم واصل:

«يمكنك أن تطلبى منى الذهاب مرة بتوسل ومرة بلهجة آمرة ومرة برجاء وفى كل مرة أستجيب أنا لك لكن هذه المرة لن أذهب. إننى أريدك. أريدك أن تكونى لى جسدك وروحك. ولكن الأهم صراحتك وأمانتك أكثر من أى شىء آخر».

لكنها حاولت بكل مالديها من إرادة ألا تستسلم له. فهى لا تعرف إن كان صادقا أم يعبث بها فقالت وهى تبتسم:

«إننى متعبة للغاية، أرجوك اذهب الآن».

فقبلها قبلة رقيقة ونهض قائلا:

«حسن، سأراك فى الصباح».

فقالت قبل أن يذهب:

«نيك يجب أن نتحدث، ليس الآن».

« سأكون مشغولا طوال اليوم غداً. يجب أن تنتظرى حتى المساء».

شعرت بنبرة التحذير تعود لصوته وكأنه ينتقم من رفضها له هذه الليلة. لكن يغضب قليلا أفضل من أن تندم هى طويلا كما أنها ليست

واثقة من صدقه معها. فأومأت برأسها موافقة وقالت بصوت محايد:

«حسن، غداً مساء إذن».

عندما ذهب أخذت هى تخلع ثيابها وهى تفكر فيما حدث. كان بإمكانها أن تستمر حتى النهاية ولو كان ذلك هدفه كانت ستستسلم له آجلا أو عاجلاً. لقد غرقت تماماً فى جاذبيته ولكنها عادت لوعيها فى الوقت المناسب.

ولكن تراجعه يؤكد أنه شئ أكثر من مجرد علاقة عابرة تستمر لأيام. ولكن أيكون قد احتقرها لا ستسلامها السريع؟

لم تكن مينرفا من المؤمنين بالحب من أول نظرة، هذا ما تعلمته من علاقتها مع بول لو كانت حتى تعلمت شيئاً ما. ولكن هل هذا الحب؟ تلك الرغبة فى الأخذ والعطاء؟ بالتأكيد إنه حتى لو كان حباً فلا يمكن أن يستمر مع نيك. إنه زوج ستيلا فهل من الولاء أن تقع فى غرامه. كما أنه لم يصرح لها بأى شعور أو عاطفة. من الغباء أن تعتقد أنه يحبها وهو لم يقابلها إلا منذ بضعة أيام. ليس حبا بل مجرد رغبة من كليهما، رغبة محمومة عليها أن تتخلص منها.

وشعرت بمرارة سافرة لأنها وقعت فى الإغراء ثانية بعد تلك السنوات الطويلة من الحذر والتحفز، ولكن ما أوقعها هذه المرة كان ضعفها وليس سذاجتها كما كانت فى المرة الأولى. لقد كانت دائماً مصممة على أن تهزم أية رغبة تجتاحها حتى لو كانت رغبة الحب نفسها دون أن يكون لديها دليل على أنها لن تفقد كرامتها واحترامها. هل فشلت فى إقناعه بأنه يمكنهما أن يبقيا أصدقاء مع حفاظهما على كرامتها أم أن مجرد مسامحتها له على ما فعله



معها الليلة الماضية كانت بمثابة دعوة له لأن يفعل بها مايشاء وقتما يحلوله؟!

* * *

عندما هبطت مينرفا فى الصباح كان نيك قد ذهب وقد جاءت چوليان مبكراً لكى تقوم بالتنظيف بعد انتهاء العشاء الليلة الماضية. قالت الفتاة الثرثارة وهما يتناولان الشاى:

«يبدو أنك ونيك على اتفاق».

فأجابت بطريقة عادية:

«ولماذا نختلف؟».

فنظرت إليها چوليان وبدا عليها أنها تود لو تقول شيئاً لكنها خائفة:

«اعتقدت أن الأمور ستكون على غير ذلك».

«لا داعى لذلك. فلسنا سوى غرباء حقيقة وهى أول مرة أقابله فيها».

فبدا على چوليان أن صبرها نفد فقالت وهى تحاول أن تبدى نوعا من اللوم لمينرفا:

«لو كان نيك زوج أختى أنا لما نسيت أبداً ما فعله بها».

لقد كان ذلك خطأ مينرفا من البداية. لو لم ترد سماع الثرثرة لكان عليها إظهار ذلك من البداية لكن طالما بدأت چوليان فى الحديث عن عيوب الآخرين وأسرارهم فلن تتوقف أبداً. لكن مينرفا قالت بحزم:

«ما حدث بينهما ليس من شأننا».

فقالت چوليان وكأنها تتراجع:

«كل ما أعنيه أن تكونى حذرة. إنه رائع ولكنه... أعنى لا يمكن الثقة به تماماً».

شعرت مينرفا بأن بعضا من الأقل القليل الذى كان بداخلها تخبو جذوته فأدارت وجهها إلا أن چوليان واصلت:

«لقد ترك أختك وحدها هنا بينما أمضى عطلة الأسبوع مع صديقة له. لقد كانت العطلة التى انتحرت فيها».

تدلت شفة مينرفا السفلى وقالت فيما يشبه الصراخ:

«ماذا؟ من؟».

بدا على چوليان الغضب والتقزز وهى تتذكر:

«نعم. لقدأبقى الأمر سرا لكن كل من هنا يعرفون ذلك. لقد كان مع چنيفيف تلك العاهرة».

«چنيفيف؟». تساءلت وهى تشعر بغصة فى حلقها وألم فى صوتها.

«نعم. لقد كانت بينهما علاقة حارة عندما تزوج نيك أختك، وبالطبع لم تكن تلك الساقطة تتخلى عنه بسهولة فانتظرت حتى ذهب بريق الزواج الأول وبدأت تحوم حوله ثانية».

شعرت مينرفا بتقزز من كل ما حولها، كل ما فى القلعة بأثاثها وسكانها وحديقتها لكنها قالت وهى مازالت لا تثق فى چوليان:

«هل كان معها عندما ماتت ستيلا؟».

فقالت الاخرى بلهجة انتصار:

«بالتأكيد. لقد اتصلت به هيلين عندها لتخبره بوفاة ستيلا وقد استمعت أنا للمكالمة من السماعة المعلقة فى المطبخ دون أن تشعر بى



المرأة العجوز. وكانت چنيفيف هى من ردت عليها فى البداية».

لقد كانت تقول الحقيقة، بدا ذلك واضحاً. إذن هذا هو السبب فى انتحار ستيلا. فسألتها وهى تكاد تبكى:

«لماذا لم تخبرى أحدا بذلك فى التحقيق؟».

فضحكت چوليان ضحكة تنم عن المرارة أكثر من الفرح:

«إننا نعمل لديه هنا ويساعدنا لنبدأ حياتنا الخاصة. لقد ماتت أختك منتحرة وكل ما كنت سأقوله لم يكن ليعيدها للحياة بل سيطردنى أنا وزوجى للطريق».

فسألتها بلهجة هجوم:

«ولماذا تخبرينى أنا الآن؟».

فقالت الفتاة وقد بدا الصدق فى نبرتها:

«لقد كنت أحب أختك. كانت تعاملنى برفق وأنت كذلك مثلها. أنا أعرف نيك جيداً ولا أحب أن تتورطى معه فى شىء تندمين عليه بعد ذلك.».

فصمتت مينرفا محاولة استيعاب ما سمعت لكن چوليان واصلت:

«على أى حال لم تكن مفاجأة لستيلا. فهى ونيك لم تكن الأمور بينهما على ما يرام فى الفترة التى سبقت وفاتها لدرجة أنهما كانا ينامان فى غرفتين منفصلتين».

ودون أن تنبس بكلمة أخذت مينرفا كوبها ووضعته فى الحوض وفتحت صنبور الماء وهى تنظر للكوب دون أن تغسله وقد شعرت بالماء ينساب على يديها فخفف ذلك من توترها قليلا فقالت چوليان كالمعتذرة:

«كان يجب ألا أخبرك. إن زوجى چون يقول لى دائماً أن لسانى هذا سيضعنى يوما فى المشاكل وأعتقد أنه على صواب. لكنك طيبة ولذلك أحببتك».

فقالت مينرفا بصوت لا أثر للحياة فيه:

«لا بأس».

لم تكن تعرف من تحتقر أكثر، نيك لاقامته علاقة قذرة ومحاولة إخفائها، أم نفسها لأنها سقطت فى إغرائه وجاذبيته. لكن ما تعرفه هو أن عليها أن ترحل عن القلعة الأسبانية بأسرع ما يمكن...

## الفصل الخامس

أخذت مينرفا تراقب انعكاسها على زجاج النافذة، عيناها الواسعتان كانتا فى لون السماء الملبدة بالغيوم، وقد التوى فمها الأحمر الصغير ليشبه ما يضعه المهرجون بأفواههم، أبعدت الطعام بعيدا عنها فلم تكن لديها أية رغبة فى الأكل.

لم تستغرق چوليان طويلا حتى عادت ومعها حزمة من الرسائل وضعتها أمام مينرفا وقد بدا عليه الارتباك وقالت وهى تشير للرسائل:

«هناك رسالة لك».

فقالت مينرفا وهى تشعر بانقباض لم تدر له سبباً:

«رسالة لى أنا».

وقفت وحملت الرسائل ووجدت نفسها تتجه بطريقة عفوية ناحية حجرة المكتب وتغلق بابه عليها، وضعت الرسائل التى كانت مرسلة لنيك على المكتب ونظرت للخطاب المرسل إليها. كان مرسلا على عنوان اليخت بخط ستيلا.

يبدو أنه قد بعث منذ فترة طويلة فقد بهتت الأختام التى عليه لكنها استطاعت أن تعرف أنه قد بعث قبل الوفاة بيومين وقد طبع عليه بخاتم أحمر:«لم يستدل على العنوان. يعاد للمرسل». شعرت مينرفا برغبة فى البكاء حتى قبل أن تفتح الرسالة. إذن هذه آخر رسالة كتبتها ستيلا قبل وفاتها وربما يكون فيها سبب ما أقدمت عليه. وبالفعل أخذت دموعها تتساقط على الظرف وهى تفتحه بيدين مرتعشتين. كان الخط مهزوزا مما يدل على أن يد ستيلا كان ترتعش وهى تكتب الخطاب لكنه كان واضحا فمسحت مينرفا دموعها وبدأت تقرأ وقد تهاوت على الكرسى الموضوع أمام المكتب:

«عزيزتى مينرفا، أنا تعيسة للغاية.

كان يجب على أن أعرف أن النهايات السعيدة فى القصص الخيالية فحسب، لقد كنت أعتقد أن كل شىء سيكون على ما يرام بل ورائع لكن ما يحدث الآن ليس عدلاً من الحياة.

أنا فى تعاسة تامة ولا مكان لى ألجأ اليه. لماذا يجب على أنا أن أعاقب على جريمة لم ارتكبها يوماً؟ أو ربما يكون محقا وهناك خطأ فى. لا يهم الآن على أى حال.

كنت أتمنى لو كنت هنا. مينرفا أحبك وأفتقدك للغاية».

شعرت مينرفا بقواها كلها تنهار. رغم مرور عام على وفاة ستيلا إلا أن هذا الخطاب قد أعاد كل الذكريات المؤلمة للحياة. إذن نيك له يد فى وفاتها. ما هى الجريمة التى يعاقبها عليها؟ لقد كانت ترى دائماً أن من الحمق الوقوع فى الحب مع الرجال غير المخلصين ونيك لم يكن مخلصاً لها، فقد تركها لتموت وحيدة بينما قضى العطلة مع



چنيفيف. ورغم حزنها الشديد وغضبها إلا أن مينرفا لم تكن تستطيع الهروب من حقيقة بدت واضحة أمام عينيها كالشمس. إنها تحب نيك حتى بعد أن قرأت هذه الرسالة لإزالت تحبه. لقد شعرت بتغيير فى شخصيتها فى الأيام القليلة الماضية لم يكن له سبب سوى نيك بيفريل. إن مينرفا روبير ستون الآن تختلف عن مينرفا روبير ستون الفتاة الواقعية التى تخطط لمستقبلها تخطيطاً عاقلاً بعيدا عن نزوات العاطفة وشطحات الهوى. إنها الآن مستعدة أن تسامح وأن تغفر، ولكن هل من حقها أن تسامحه على ما فعله بأختها؟ إن هذا حق ستيلا وليس حقها كى تسامح فيه. شعرت بنفسها ممزقة بين حبها لنيك وولائها لستيلا تلك الفتاة التى عاشت معها أجمل سنين طفولتها وصباها ولم تكن بجانبها عندما ماتت وحيدة وتعيسة. هل يسلبها الحب الآن احترامهالنفسها وولا ها لعائلتها؟ هل تتجاهل هذا الخطاب أم تسأل نيك عما يعرف عن وفاة أختها؟

وضعت الخطاب فى جيب بنطلونها وأسرعت لحجرتها فى الطابق العلوى بعد أن تأكدت من ذهاب چوليان. لم تكن لديها رغبة فى أن ترى دموعها وتسألها عما فى الخطاب، كانت تود لو تذهب لآخر مكان فى العالم. أخفت الخطاب والظرف فى أحد الادراج وجلست لا تلوى على شىء. انبعث صوت ساخر من ضميرها يسألها عما ستفعل؟ هل تفضل رجلا لا تعرف حتى أذا كان يحبها أم يعبث بها على ذكرى أختها العزيزة؟

هل تذهب وتتركه؟ أليس لهذا الحب الملعون من نهاية؟ بالتأكيد لن تحب رجلا أذى أختها لدرجة أنه دفعها للانتحار.

مضى بعد الظهر ببطء شديد وكأنه حيوان جريح يزحف وكانت كل دقيقة تمر تزيد من توترها وخوفها حتى وصل نيك أخيرا فى السادسة والنصف مساء. رغم أنه لم يبتسم عندما أتى من الباب إلا أن عينيه أخذت ـ كالعادة ـ تتفحصان وجهها بعمق وكأنما يهدف للدخول لأعماقها دون أن يتحدث، كانت الرغبة مستعرة فى عينيه، رغبة تمنحها السعادة لكن كان عليها أن تتجاهل كلا من رغبته وسعادتها الآن. قالت بهدوء:

«العشاء تقريباً جاهز».

لم يقم بأية محاولة للمسها وخبت جذوة النار فى عينيه وقال بما يشبه خيبة أمل من لقائها الباهت:

«شكرا».

وعلى العشاء كان نفس الرجل الذى عرفته من البداية، مختبئاً وراء حواجز صنعها هو لتمنع أى إنسان من الوصول لعواطفه. كان يبدو مستحيلاً أن يفقد مثل هذا الرجل أعصابه فقررت أن تفتح الحديث أى حديث ولتحاول أن تتطرق لموضوع ستيلا حسب مجرى الحديث فسألته كيف أمضى يومه لكنه أجاب إجابات سريعة لاتنم على شىء أكثر من عدم رغبته فى التحدث عن العمل. ورغم أنها تظاهرت بالاهتمام إلا أنهما أصبحا بعيدين من بعضهما مهما حاول كل منهما التظاهر بعكس ذلك، لكنه هو على الأقل لم يتظاهر بشىء حتى انتهيا من العشاء.

لكنه قال وهى جالسة على الأريكة أمام المدفأة بنفاد صبر:

«حسن ما الأمر؟».



لم تنظر إليه بل أخذت تنظر لنار المدفأة وتستمع لصوتها وهى تأكل ما يلقى اليها من خشب وشعرت بثقله على الأريكة عندما جلس بجانبها. فقال بصوته البارد:

«لم يكن على أن أتركك بمفردك اليوم، ولكن ما الامر مينرفا؟».

لم يكن هناك أسلوب لائق لطرح السؤال يتسم بالتهذيب فقالت بصوت حاد مهاجم:

«لماذا قتلت ستيلا نفسها؟».

أجبرها صمته على أن تشيح عنه بوجهها فقد بدا متجهما ثم نادماً. هز رأسه ثم قال بصوته البارد:

«كنت أعلم أنك ستسألين عاجلاً أو آجلاً، لكننى كنت أتصور أنك لن تسألى قبل أن نتقارب أكثر،أنانية ربما ولكنى رجل أنانى أعترف بذلك».

فقالت بصوت يشبه الهمس وكأنما لتجعله يفهم وضعها:

«يجب أن أعرف».

فقال بصوت شعرت فيه بنوع من الغضب المكتوم:

"لماذا؟ لأنك لا تثقين بى؟" ثم واصل بعد أن استعاد برودء:

"يمكننى أن أفهم ذلك رغم أننى لا أوافق عليه.حسن إذن لقد قتلت ستيلا نفسها لأسباب كانت كافية بالنسبة إليها ولكنى لا أعرف إذا كانت تود لو تعرفنى هذه الاسباب أم لا."

فقالت وقد استحال وجهها شاحباً تماماً ولمعت عيناها الواسعتان وهى تشعر بخيبة أمل "لا أصدق ذلك"

فقال هو دون أن يرفع عينيه من على وجهها:

"إذن لماذا لم تخبرك هى؟"

ففقدت مينرفا أعصابها وجذبته من قميصه وهى تصرخ:

"اللعنة لماذا لا تخبرنى؟ لماذا تعذبنى هكذا؟"

لم يدافع عن نفسه بل أخذ ينظر اليها بعينين باردتين ووجهه بلا تغير ثم أغلق عينة لبرهة وقال بلهجة اعتراف: "نعم أعرف. إن الامر بسيط، مهين ربما ومخجل لكنه بسيط. لقد .. لقد وجدت ستيلا الامر غاية فى الصعوبة أن نكون معا كزوجين أعنى كرجل وامرأة. واعتقد أن هذا هو ما جعلها تعيسة. وقد جعلنى ذلك تعيسا أيضاً خاصة أننى كنت أعرف أنه مهما طال صبرى لم يكن لدينا أى أمل فى تجاوز تلك.. العقدة ؟"

فتحت مينرفا فمها، لم تصدق ما سمعت. لقد كان لستيلا علاقات عديدة منذ أن كانت فى السادسة عشر ولم تعان يوما من مشكلة كهذه. لماذا نيك؟ تساءلت بغباء أو هكذا بدت: "لماذا؟"

"لقد سمعتنى، ما كانت تذهب معى للفراش لذلك كنا ننام فى غرفتين منفصلتين "

نظرت اليه مينرفا ثم أعادت النظر لنار المدفأة وهى تشعر أن النار تحترق فى رأسها هى وليست المدفأة. واصل نيك وقد بدا عليه أنه رجل آخر تماما فقد أصبح صوته أكثر ضعفاً وأسقطت كل الحواجز:

«هناك أشياء أخرى. أعرف أن ستيلا لم تكن عذراء هى اعترفت لى بذلك. طالما عرضت عليها أن تتلقى نوعا من المساعدة، علاجا أو شيئاً من هذا القبيل ولكنها كانت ترفض. كنت أشعر أنها تتلذذ لذة مرضية بتعذيبى و تعذيب نفسها. والأغرب من ذلك كانت أحيانا تقوم



بإغرائى عندما أكون غاضبا أو أفقد أعصابى ولكنها تتركنى بعد ذلك فى منتصف الطريق. لقد كنت أشعرأحيانا بأنها تقصد ما تفعل ولكنى لم أكن مستعداً لأن أستمر فى تلك المأساة أكثر من ذلك».

فقالت مينرفا وهى تضع يدها على يده التى سحبها بسرعة:

«أنا أسفة لأن...».

فقاطعها وهو يبتسم ابتسامة استهزاء:

«لست فى حاجة لتعاطف أو شفقة. لقد أخبرتك بما وددت أن تعرفيه عن أختك. لقد كانت مريضة نفسياً ورفضت تلقى أى علاج لذلك فقد أخبرتها بأنها أصبحت لا تمثل شيئاً بالنسبة لى، لم أعد أحبها أو أكرهها».

شعرت مينرفا بغضب من كلمته الأخيرة، لقد كانت ستيلا مريضة وفى حاجة لمساعدة، ولكنه لم يكن صبورا على أى حال فقالت:

«ربما انتحرت عندما علمت أنك استعدت علاقتك بتلك المرأة. چنيفيف وأنك استغنيت عنها للأبد».

فانقلب وجهه فجأة ونظر إليها بعينين حادتين، لأول مرة تراه كذلك، لقد ذهب الجمود الذى لازم عينيه وحل محله الآن غضب عارم. قال بصوت ظهرت فيه بوادر العاصفة:

«من أخبرك عنى أنا وچنيفيف؟».

فقالت وقد بدأت تتخيل چوليان وزوجها وهما يحملان أمتعتهما ويغادران المزرعة فشعرت بالذنب لأنها لم تحكم لسانها وقد تعرض أبرياء لفقدان عملهم:

«لا يهم من أخبرنى. ولكن هل حقيقة ما كان بينكما سبب انتحار ستيلا؟».

فابتسم نيك ابتسامة مليئة بالمرارة وقال:

«أتعرفين ماذا فعلت بى أختك! لقد أصبحت لا أثق فى نفسى مع أية امراة اخرى. لقد كانت چنيفيف تطاردنى بمكالماتها طوال الوقت. كنت فى البداية أرفضها لأننى كنت أحب ستيلا، أما بعد ذلك فقد أصبحت لا أثق اننى قادر على حب أية امرأة. لقد جعلتنى ستيلا أفقد ثقتى فى نفسى كرجل..!

وفجأة تنحنح وكأن الكلمات ترفض الخروج من فمه..

«لعلك تتعجبين لماذا تركتك الليلة الماضية وذهبت لغرفتى رغم أن كل ذرة فى كانت ترغبك، ولعلك تتعجبين أيضا لما حدث منى يوم أن جرحت يدى. إن هذا ما فعلته بى ستيلا أختك..لم تصدق مينرفا أذنيها. هذا الرجل الذى بدا لها لأول مرة رأته فيهاعلى حصانه تحت المطر كأحد آلهة الاغريق لا يمكن أن يكون هكذا..عاجزاً. هل يا ترى يحاول خداعها والإيقاع بها؟ ولكنها تساءلت بصوت يكاد يكون آليا:

ولكنك كنت مع چنيفيف عندما انتحرت ستيلا؟

نعم ولكنى لم أكن أعرف أنها فى منزل والديها. لقد دعانى والدها لقضاء نهاية الأسبوع معه وعندما ذهبت لم تكن هناك بل أتت فى منتصف السبت ولم يحدث بيننا أى شىء. أقسم لك.. ثم مستدركا:

«ولكن لماذا أقسم؟ لابد أنك تعتبرينتى مسئولاً عن وفاة ستيلا. لا لست مسئولا عن ذلك.»

شعرت مينرفا برغبة فى الصراخ. من تصدق؟ چوليان أم نيك؟ هل



تصدق انه برىء أم تصدق چوليان التى أبدت تعاطفا مع ستيلا؟ ولكن چوليان لم تكن تعرف شيئا بالطبع عن مشكلة ستيلا الخاصة مع نيك. نظرت إليه وقد وضع رأسه بين كفيه وأخذ ينظر للأرض، شعرت نحوه بشعور جديد، شعور الحب ممزوجا بالشفقة وتمنت لو تأخذه بين ذراعيها كطفل صغير، ولكنه لم يكن كذلك. لم يكن طفلاً بل رجلاً قويا مر بتجربة أثرت على كبريائه وجعلته أكثر خطورة وحدة.قال وهو ينظر اليها بعينين مليئتين بالسخرية والرغبة فى آن واحد:

«ربما تكونين مثل أختك».

فاجأها قوله ولم تفهم ماذا يعنى فواصل وهو يبتسم بمرارة:

«ربما تستمتعين مثلها بتعذيب من تحبين. نعم أعتقد أنك كذلك. قولى لى كم رجلاً عرفت؟».

فقالت وهى تحاول ألا تجعله ينقلب عليها ويحملها تبعة شىء ليست مسئولة عنه:

«ليس هذا من شأنك».

فقال وقد ملأ التحدى صوته وبدا عليه أنه بدأ يفقد هدوءه وصبره أيضاً:

«ولم تكن علاقتى بچنيفيف من شأنك أيضاً، لكنى أخبرتك بها. أنت مثل أختك تعطين لنفسك حقوقا تخفينها عن الآخرين».

فقالت مدافعة عن نفسها وعن أختها:

«لسنا كذلك. أنت لا تعرف شيئاً عنى، وستيلا كانت تكره الصدام والشجار منذ صغرها. لذلك فضلت الانتحار على المواجهة».

«آه نعم».

قال ذلك بلهجة أقرب الى الامتعاض ثم قام واتجه نحو المكتب وهو يقول لها بلهجة أقرب الى الطرد:

«على أى حال لم يعد شئ من هذا الأمر يهمنى على الإطلاق».

تركها وحيدة لا تعرف ماذا تفعل. كانت تشعر بمشاعر متضاربة، حبها له وعطفها عليه وغضبها منه، وحزنها على ستيلا ورغبتها فى الدفاع عن نفسها وعن أختها الميتة وهى فى قمة التعاسة جلست على الأريكة وحدها لا تعرف ماذا تفعل وبقيت كذلك حتى بزغ الفجر.

• • •

صعدت مينرفا لحجرتها مع الفجر وبدأت تجمع أشياءها فى هدوء، لقد قررت الرحيل أما نيك فلم يغادر مكتبه طوال الليل. حملت حقيبتها الصغيرة وتسللت من الباب الخلفى الى الجراج حيث سيارة روث الصغيرة التى استعارتها منها لرحلتها للشمال.

أدارت محرك السيارة وانطلقت بها فى طريق أوكلاند. كان الطريق موحشاً ومخيفا ولكن أصوات الطيور المبكرة وتغير لون السماء من الأسود الكاحل إلى الفضى جعلها تشعر ببعض الأمان.عندما وصلت لمنزل والدها كان الصباح قد ملأ الدنيا بنوره وكانت الساعة تجاوزت السادسة بقليل.فتحت مينرفا الباب الأمامى بمفتاحها ودخلت الصالة لتجد روث واقفة تتحدث فى التليفون وما أن رأتها حتى بدا عليها الاندهاش ووضعت يدها على المرسل وقالت:

«صباح الخير يا حبيبتى. إنه نيك يريد التحدث إليك».

فأجابت مينرفا بصوت متعب:

«لا أريد التحدث إليه».



فتساءلت روث فى إشفاق:

«لماذا يا عزيزتى؟»

«فقط لا أريد».

أخذت عينا روث تتفحصان وجهها، كانت مينرفا تعرف أنه ملىء بالدوائر السوداء وعلامات الأرق والارهاق، علامات لم يكن فى وسعها إخفاؤها. قالت زوجة أبيها بسرعة:

«حسن، سأخبره أنك وصلت بسلامة».

وضعت مينرفا حقيبتها على الأرض وهى تشعر براحة شديدة بينما يلاصق ظهرها الأرضية الصلبة واستمعت لروث وهى تقول لنيك فى التليفون فى صوتها الدافىء الملىء بالعاطفة:

«نعم لقد وصلت.. لا براين ذهب للعمل....حسن».

قامت مينرفا وذهبت ببطء لغرفتها، عندما طرقت روث الباب كانت جالسة على المقعد المجاور لنافذة ممسكة بخطاب ستيلا. ناولته لروث عندما دخلت وقالت بصوت يائس:

«لقد وصل هذا بالأمس».

بمجرد أن تعرفت روث على خط ابنتها تحول لون وجهها للشحوب وتهاوت على أقرب مقعد. نظرت لمينرفا بذعر وكأنها رأت شبحاً أمامها وقالت بصوت يشبه الهمس:

«ماذا تقول فى الخطاب؟».

«من الأفضل أن تقرأيه بنفسك».أخذت تتنفس بهدوء وعمق بينما أخذت روث تقرأ الخطاب بعينين متحجرتين. ولكنها أصيبت بصدمة عندما سمعت زوجة أبيها الطيبة تسب وتلعن وقد بدت الكلمة التى

قالتها أكثر قبحا مع صوتها الرقيق الهادىء.

«روث!»

«آه يارب. يالتنى كنت قتلته».

قالت ذلك بصوت كأنه متحجر وقد نظرت فى اتجاه مستقيم كأنما تنظر لشىء حدث فى الماضى تراه الآن أمام عينيها.

سألت مينرفا بقوة:

«ماذا فعل؟».

وعندما لم تجب روث سألت بإلحاح أكثر:

«ماذا فعل نيك يا روث؟ ماذا فعل؟».

نظرت إليها روث وقد تبدل الغضب والحقد اللذان كانا فى عينيها إلى اندهاش تام.

«نيك؟ عم تتحدثين؟ نيك لم يفعل شيئاً على الإطلاق إنه أبوها».

وفجأة بدا كل شىء واضحاً أمام مينرفا، عقدة ستيلا، خوفها الدائم وانسحابها، عدم قدرتها على أن تكون زوجة لنيك، حتى لتلك المسحة الطفولية التى استمرت بها طوال عمرها، كل هذا بدا واضحاً أمام مينرفا التى همست بصوت يملؤه التقزز:

«أبوها؟».

ملأت الدموع عينى زوجة أبيها التى قالت بصوت محطم:

«نعم. ولذلك طلقته. لقد أخذ ذلك يحدث لعام قبل أن أكشفه أنا».

«آه يا ربى».

«نعم، ستيلا المسكينة. كانت لا تزال طفلة وهو.. وهو..».



وتحول بكاء روث الى نحيب حاد أخذت أنفاسها تتلاحق معه وكأنها تشهق بعد أن خرجت من الماء. تكلمت مينرفا لتملأ الصمت الذى لا يطاق، شعرت أن عليها أن تقول شيئاً أى شئ لتشغل ذهن روث، لكن كل ما استطاعته هو أنها أخذت تردد:

«والدها؟ والدها؟ أيصدق هذا؟ والدها؟».

امتدت يد روث لمنديلها الصغير وهى تقول: «نعم والدها».

تحركت مينرفا نحو روث وجلست على ركبتيها أمامها وأخذت يديها المرتعشتين بين يديها وهى تقول:

«روث، ياله من أمر فظيع بالنسبة لك، ولستيلا المسكينة، ستيلا المسكينة».

بدأت روث تبكى ثانية واحتضنتها مينرفا بشدة وقد أخذت تحملق بلا وعى فى الغرفة حولهما. قالت روث وقدتهدج صوتها من الحزن:

«لقد قالت إنها بخير، لقد بدت بخير ولكنها كانت تعسة طوال الوقت طفلتى المسكينة».

طالت لحظات الحزن بينهما وهما امرأتان جمعهما الحزن على فقيد غال يشعران نحوه بالذنب، لكن مينرفا قالت وهى تختار كلماتها بحذر:

«يجب أن تخبرى نيك، فمن حقه أن يعرف». لكنها شعرت بتراجع روث حتى قبل أن تتكلم "لا ، لا يمكننى، لا يمكننى ،سيلقى على اللوم".

"ولماذا يلومك أنت؟"

فقالت وهى تمسح عينيهابمنديلها الوردى:

"كان يجب على أن ألاحظ ،فقط لو كنت أما أفضل...."

أخذت مينرفا تهز روث برقة وهى تنظر إليها بعمق:

"لا تقولى ذلك ، لقد كنت أما رائعة. لست مسئولة عما فعلة إنسان حقير. هل استمر زواجكما بعد أن عرفت؟"

عكس وجه روث رفضها القاطع فقالت بحزم :

لا". لقد ذهبت للشرطة، لقد أمضى عدة سنوات فى السجن ومات هناك ، ولكننى طلقته قبل ذلك بوقت طويل".

"إذن لماذا يلومك أى شخص؟".

فهزت المرأة رأسهاوقالت وكأنما توّنب نفسها:

"كان علىّ أن أجعلها تتلقى علاجا ما لكن فى ذلك الوقت لم تكن تلك الأشياء منتشرة، وعلى أى حال لقد أخبرنى الطبيب الذى استشرته أنها ستتجاوز تلك المحنة. ولكن بعد ذلك عندما علمنا بالأضرار النفسية لتلك الأمور اقترحت عليها أن ترى طبيبا لكنها ضحكت منى وقالت إنها ليست فى حاجة لمنوم مغناطيسى."

فقالت مينرفا مضحية بذكرى ستيلا فى سبيل مساعدة روث الآن:

"لقد كانت فى السادسة والعشرين، وناضجة بما فية الكفاية لكى تتحكم فى حياتها كما شاءت. حتى لو لم يكن لديها القدرة على إخبار نيك، كان يمكنهاأن تحاول مساعدة نفسها بتلقى مساعدة من متخصص أو شئ ما قبل أن تتزوجه. أعرف اننى قاسية، ولكن لأنها لم تستطع أن تفعل ذلك فقد جعلت من نيك ضحية لأبيها قاتلها.إن من حقه أن يعرف، من واجبك إخباره."

عضت روث شفتيها لكنها أومأت برأسها موافقة وقالت بتسليم:



"نعم إنك محقة. يجب أن أخبره."

نظرت مينرفا للتليفون نظرة ذات دلالة وكأنما تحث روث على الاتصال به، فى حين بدت روث مترددة وتمتمت فى صوت غير واضح:

"لكن.."ثم قالت وكأنها غريق وجد حبل النجاة:

"هل يمكننى أن أصنع لنفسى كوبا من الشاى أولاً؟"

"سأعده لك أنا"،قالت مينرفا ذلك واحتضنتها ثم قالت بتأكيد:

"لم تكن غلطتك يا روث، لم تكن تريدك أن تلومى نفسك لو كانت حية، تعرفين ذلك."

"لقد تخليت عنها"

قالت مينرفا وهى تبعد ذراعيها عنها:

«لا لم تفعلى».

ثم أخذت المرأتان تتجهان صوب المطبخ، وبعد أن شربت روث الشاى كان من الواضح أنها ليست لديها القدرة على الاتصال بنيك أو إخباره أى شىء. فقد أصابتها إحدى نوبات الصداع وكل ما استطاعت مينرفا أن تفعله هو أن تصعد بها لغرفتها وتبقى معها حتى ذهبت فى سبات عميق.

سارت مينرفا للشرفة الأرضية المفتوحة على الحديقة. كان جو الربيع يملأ المكان حولها برائحته وألوانه الزاهية. أخذت تفكر كيف تساعد روث وتقنعها بالاتصال بنيك، وكيف سيكون رد فعله هو عندما يعرف الحقيقة. تذكرت مينرفا وهى تتجول فى الحديقة ستيلا والسنين التى قضياها سوياً ولعبتا فيها فى هذه الحديقة الجميلة. لأول مرة لم تكن مينرفا قادرة على الاستمتاع بالحديقة الجميلة التى شهدت أحلى

لحظات طفولتها مع ستيلا المسكينة، لقد تلقت صدمات كثيرة فى الأيام الأخيرة، بعضها خاصة بها والآخر بستيلا. ولكن عندما أخبرها نيك عن ستيلا كان واضحاً أنه لم يتجاوز بعد محنته مع زوجته التى أحبها وكرهها فى آن واحد، لذلك فلا يهم شعورها نحوه على الاطلاق. وحتى يتجاوز ستيلا لم يكن لديه ما يعطيه لها أو لأية امرأة أخرى.

كان نيك كل ما تتمناه أية امراة، عطوف وجذاب وحنون ولكنه مسكين لقد أقفرت رجولته مع ستيلا وهى التى عليها أن تعانى من ذلك الآن. كان عليه أن يتخلص من ذكرى زواجه المؤلمة قبل أن يدخل فى أية علاقة جديدة، لقد أصبح سجيناً لذكرياته.

شعرت مينرفا برعشة خفيفة مع هبوب نسمات باردة فوضعت ذراعيها حول جسدها وقد ثبتت عينيها على الزهور التى بدأت تتفتح فى الحديقة حتى بدأت تشعر ببطء ولكن بيقين أنها لم تكن وحدها.

## الفصل السادس

لم تكن مفاجأة أن ترى نيك بجسده الضخم واقفا بجانبها دون حراك. سألت بجفاف:

«كيف جئت هنا؟».

فقال بصوته لا ينم عن شئ سوى الحياد المهذب:

«لقد جئت بالطائرة لماذا ذهبتى هكذا؟ لم تكونى فى حاجة للهروب».

لم تكن مينرفا مستعدة لتجيب أى تساؤلات، نظرت إلى ستائر حجرة روث فكانت لا تزال مغلقة فقالت دون تردد:

«أعرف لماذا لم تمارس ستيلا معك الحب»

«لماذا؟».

ارتجف فمها لكنها أخذت نفسا عميقا مشبعا برائحة الورود ثم أبعدت عينيها عنه وهى تحكى له. وبعد أن انتهت وقف الصمت حائلاً بينهما لفترة ثم أخذ يسب ويلعن الرجل الذى كان سببا مباشرا فى تحطيم حياة ستيلا وتنغيص حياته.

كانت مينرفا تتمنى لو تساعده ليجتاز حزنه ولكن كان عليها أن تجتاز حزنها هى، أن تتجاوز موت ستيلا المفجع الذى سيبقى حائلاً منيعا بينها وبين نيك إلى الأبد. حتى لو حدث ما هو مستبعد وأحبها نيك فإنها لن تبنى سعادتها أبدا على ذكرى ستيلا المؤلمة. قالت ببطء:

«أنا آسفة لك ولستيلا أكثر من الجميع».

«كيف عرفتى؟».

وبطريقة آلية وهى تتجنب النظر لعينيه حكت له عن الخطاب وعما قالته لها روث.

«أين روث الآن؟ كيف حالها؟».

«محطمة تماماً».

فقال بصوت متهدج:

«لماذا لم تخبرنى ستيلا بحق الله؟ لا يمكن أن تكون تصورت أننى سألقى عليها اللوم».

«لست أعرف..». ترددت مينرفا ثم واصلت:

«أعتقد أننى أعرف لماذا تصرفت هكذا. لقد كانت ستيلا تريد كل شىء لدرجة الكمال، كانت تكره عدم النظام والفوضى. كل الرجال الذين مارست معهم الحب لم يكونوا مهمين لها بل مجرد علاقات عابرة. أما أنت فقد كانت تحبك بحق لذلك لم تستطع أن.. كانت تريد أن تكون علاقتكما كاملة وسليمة...»

ثم ابتلعت ريقها وقد تحجرت الكلمات إلا أنها واصلت:

«وقد كانت تحب والدها أيضاً..».



فقال والاستهزاء يملأ صوته:

«هل تريدين أن تقولى أنها كانت مشوشة الذهن بينى وبين والدها وأنها.. لا هذا سخف».

لا، ما أعنيه هو ارتباط الحب بالألم فى ذهنها لدرجة أصبحت غير قادرة فيها على التفريق بينهما».

فقال باختصار:

«لا، إنك مخطئة».

ولكن كلماتها كانت فى الصميم، لم يكن لديها ما تقوله غير ذلك لتقلل ذلك التعبير بالقرف الذى ارتسم على وجهه. فقال فجأة وكأن الكلمات قد ثقلت على لسانه:

«أنا آسف، ربما تكونين على صواب. ما تقولينه منطقى ويبدو واضحاً للغاية الآن، ولكن وقتها لم يبد الأمر كذلك على الاطلاق حتى فى الأوقات التى كدت أفقد فيها صوابى وأنا أفكر ماذا هنالك. عندما قلت لها بأننى لم أعد مهتما لابد أن ذلك كان خيانة لها، طعنة أخيرة ولم تستطع أن تفكر فى شىء سوى ابتلاع تلك الحبوب اللعينة».

شعرت مينرفا بأن قلبها يتألم بالتعاطف معه والحزن على ستيلا ولكنها قالت بسرعة لأن التفكير فيما ستقول كان مؤلماً:

«لقد كان هناك شئ آخر. لقد أخبرتنى چوليان أنها رأت ستيلا تبكى فى سيارتها قبل أن تموت بعدة أيام بعد أن عادت من عند الطبيب».

قال نيك بصوت ميت:

«لقد أخبرها بأنها لا يمكن أن تنجب أطفالاً».

فقالت بمرارة:

«كان ذلك سيوفر كثيرا من القيل والقال لو أنك أعلنت ذلك فى التحقيق، كانت روث ستفهم ذلك وتتأقلم معه بدلا من تأنيب نفسها هكذا».

فقطب ثم قال:

«لقد كان ذلك من شأن ستيلا وحدها ولم يكن من حق أى شخص أن يعرف، بجانب أن روث كانت تعرف ذلك».

أخذت مينرفا نفسا عميقا بعد أن فهمت أخيرا كل شىء. كل هذه المدة كانت تعتقد أن روث تعيش فى عذاب لأنها لم تكن تعرف لماذا انتحرت ابنتها، وكل هذه المدة كانت روث تلوم نفسها لأنها لم تلحظ أن ابنتها فى حاجة لمساعدتها، وربما أيضاً لأنها لم تمنع الاعتداء عليها منذ عدة سنوات.

استرقت مينرفا نظرة سريعة لنيك، كان وجهه حادا وكأنه قد من صخر، ملامحه متصلبة وبدا فجأة وكأن عمره قد زاد فقد بدت الخطوط واضحة حول فمه وعينيه. بهدوء شديد قالت:

«نيك، لقد أحبتك ستيلا، لا تعتقد أبدا أنها لم تفعل».

«ولكنها للأسف لم تحبنى بالقدر الكافى الذى يجعلها تحصل على المساعدة اللازمة لإنقاذ زواجنا».

لم يكن هناك رد فعل على ما قاله، وقد بدأ تعاطفها يتحول ليأس إلا أنه كان عليها أن تبقى هادئة، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكنها أن تساعده بها.

«لقد كنا مختلفين أنا وهى، ومع ذلك فقد تحابينا كثيرا واعتدت



أنا أن أرعاها. لا أستطيع أن أصفها بشىء سوى أنها كانت هشة، نعم هشة. أعتقد أنها كانت تشعر بالقهر. ليس عليك لوم ولا على روث، وكذلك ستيلا لا يمكن لومها، آه كم كنت أتمنى لو قتلت أباها ذلك».

فقال دون أن ينظر اليها:

«للأسف، لا يمكنك ذلك الآن».

شعرت مينرفا وكأن دمها قد برد فى عروقها، فقد رأت فى نيك للحظة ما رجلا يمكنه أن يقتل. لو كان والد ستيلا حيا لقتله نيك بسرعة وبلادة كما لو كان يقتل كلبا مجنونا. قال بصوت مرن:

«فى الوقت الحالى لدينا مشكلة أخرى أكثر إلحاحا. إن ما حدث بالأمس يجب أن نتحدث عنه».

عندما غادرت القلعة الأسبانية ووصلت للمنزل لم يكن لديها الذهن أو الوقت لكى تفكر فى موضوعها هى معه فقالت:

«لا أدرى».

وضع يديه على كتفيها فارتعدت قليلا لكنها بقيت ساكنة ووقفت فى تحفز، لكى تظهر له أنها ليست مستثارة أو منجذبة له. أما هو فقد بدا كتمثال منحوت من الصلب بملامحه المنحوتة والحادة وقد حولت أشعة الشمس شعره إلى اللون الذهبى، لكن عينيه كانتا كالزجاج اللامع، قويتين وخاليتين من أى دفء. قال بصوت آلى:

«كنت أتمنى لو كان لى طفل، لكنى لا أعتقد أننى سأتزوج ثانية أبدا، ليس لى القدرة على إيلام أية امرأة أخرى أو تحمل الألم من أية امرأة أخرى».

لقد آذتها كلماته أكثر مما تصورت، إنها ألم بالنسبة له ويرى فى

نفسه ألما لأية امرأة اخرى. نظر إليها وابتسم ابتسامة مجاملة ثم أنزل يديه من على كتفها ومشى.. مشى خارج حياتها للأبد.

* * *

رحلت مينرفا إلى عالمها الجديد فى بريطانيا متأخرة عن موعدها أسبوعا فقد اضطرت أن تلازم روث فى موقفها الذى استمر أسبوعا، فقد كانت قد انهارت تماما بعد أن أخبرت براين زوجها بأمر ستيلا، لقد بدا عليها فى ذلك الأسبوع أنها ستصاب بذلك الانهيار العصبى الذى كانت بوادره تبدو عليها لفترة طويلة، على أى حال لقد أقنعت نفسها أنها بخير، وقد استلزم ذلك جهدا من جانب مينرفاو والدها ليقنعاها برؤية طبيب يساعدها فى محنتها.

لقد كان أبوها من أقنعها بأن ترحل وتبحث عن مستقبلها، لقد قال لها أنها أمضت وقتا طويلا من عمرها لتساعدالآخرين لتجاوز آلامهم وإحباطاتهم وأن عليها أن تبحث عن مستقبلها الآن. قال لها فى إحدى الليالى:

«إن روث حقيقة تحتاج للعون، وكذلك ستيلا. أما أنت فمستقلة وشخصيتك قوية ولكن عليك أن تعيشى حياتك وحدك من الآن فصاعدا».

«إذن كنت تعتقد أن روث لم تعد بحاجة الى..»

لكن والدها ربت يدها وقال قاطعا:

«بل تحتاج إليك وأنا كذلك، لكن عليك أن تذهبى وتشعرى بشبابك».

فقالت مندهشة:



«وكيف عرفت أننى أشعر بأننى عجوز لدرجة أننى ربما لن أتمكن من الضحك ثانية». فقال بهدوء:

«أنا أعرفك. ما مدة تعاقدك؟».

«فقط لعام واحد»

«فلتعودى إذن»

فأومأت برأسها وقالت:

«حسن، سأعود».

* * *

وقد عادت بالفعل فى نهاية نوفمبر، كل من كتب لها. أبوها وروث وزميلاتها القدامى الذين أبقت على علاقتها معهم. حكوا لها عن الربيع الرائع الذى تتمتع به نيوزيلندا وقد رأت بعينيها بالفعل من نافذة الطائرة الغطاء الأخضر العظيم الذى بدا لها من ذلك العلو الشاهق وكأنه مفرش جميل على إحدى موائد الطعام الفاخرة، وهى تنظر من نافذة الطائرة تخيلت كما لو كانت ترى القلعة الأسبانية. كان ذلك سخيفا فقد امتلأت نيوزيلندا بالأبنية الحجرية، كما أنها لم تعرف شيئاً من أخباره سوى ما ذكرته عنه روث فى خطاباتها وكان ذلك قليلاً وعابراً. لقد كتبت له خطابا رسميا وانتظرت الرد عليه فى حرقة مخجلة وقد جاءها الرد مختصرا ورسميا أيضاً متمنيا لها السعادة ووقعه بالمخلص نيك».

لقد آلمها ذلك كما آلمها رفضه الأول لها. أخرجتها المرأة التى كانت فى المقعد المجاور لها من أفكارها وقد تبادلت الكلمات والأحاديث العابرة طوال الرحلة:

«هل هناك من ينتظرك فى المطار؟».

«آه نعم. أبى وزوجته التى تعتقد أن كل من يأتى من السفر يجب استقباله فى المطار وإلا يشعر بحرج عميق..».

فأبتسمت المرأة بينما عاودت هى النظر من النافذة. بعد شهرين من رحلتها بدأت خطابات روث تصبح أكثر بهجة لدرجة أن مينرفا لم تعد بحاجة لتأكيدات والدها على تحسن روث، حتى عندما اختير كين ابن روث ليمضى عاما فى أمريكا فى منحة تبادل طلابى لم تتأثر معنويات روث بذلك بل على العكس سعدت به.

بعد عشرين دقيقة هبطت الطائرة فى مطار «مانجر» ولأول مرة منذ سنوات شعرت مينرفا بأنها هائمة بالأهل والأصدقاء. كانت عيناها تلمع بالفرحة وهى تضحك وتعانق روث ووالدها وذرفت روث دموع الفرح ثم انطلقوا جميعا للمنزل.

لم تكن قد حددت ماذا ستفعل بعد فى الأسبوع التالى، كان الجو فى أحسن حالاته وقد نشط البيت فى محاولة من الجميع لإبداء الترحيب بها.

نامت مينرفا قليلا ثم ذهبت للعشاء الذى أعدته لها صديقاتها وزميلاتهاالقدامى. لقد جعلها الاحتفال الذى شارك فيه أصدقاؤها ووالداها تشعر بسعادة غامرة أنستها عناء الغربة والعمل، واستمعت لثرثرة عن أناس تعرفهم وآخرين لا تعرفهم، ولكنها لم تسمع شيئا من نيك. لم يذكره أحد على الاطلاق. وعندما مرت الأيام دون أن يتفوه أحد باسمه بدأت تتساءل إذا كان ذلك متعمدا. وفى النهاية سألت وكأنها تتذكره تذكرا عابرا:



«كيف نيك؟ أم أنكم لا ترونه الآن نهائياً؟».

فقالت روث:

«نيك، آه نعم. إنه بخير» ثم غيرت الموضوع قائلة:

«عزيزتى كم تنوين البقاء هذه المرة؟ألا ترين أن الوقت حان لتستقرى مع رجل لطيف وتعطينى أحفاداً».

فقالت مينرفا وهى تغلق عينيها وتتخيل أشياء خاصة:

«أعتقد أننى سأمنح نفسى أجازة..». ثم ربما أذهب أنثار كتك فى الشتاء فأنا لم أره أبداً».

وعندما ذهبت زوجة أبيها لتعد الغداء جلست مينرفا تحت شجرة الجاكا راندا وهى تتساءل عن سبب عزوفها عن الزواج. لقد كانت لا تزال تحب نيك ولكنها تعرف أن هناك الكثير يقف حائلا بينها وبينه. ربما كان عليها أن تبقى وحيدة، قدرها كذلك على أى حال فإن وضعها هذا له مميزات كثيرة. فحياتها فى منتصفها تماماً تتحكم فيها كما تشاء، أينما تشاء. تستطيع أن تفتح مطعمها الخاص وتكون سمعة رائعة وتحقق دخلا كبيرا أما فكرة الزواج فليس لها البريق نفسه الذى لدى معظم الفتيات فى عمرها. ولكنها شعرت بالدموع تبلل رموشها، إنها تراوغ نفسها فهى تحب نيك..

عدة ليال بعد ذلك كانت مينرفا مدعوة مع أبيها وروث لحضور استقبال مهم فى أحد الفنادق الضخمة.

كانت قد أمضت يومين مع إحدى صديقاتها فى إحدى جزر أوكلاند وقد عادت بعد ذهاب والديها. لكنها قررت أن تذهب لأن الموعد كان مهما جدا لوالدها. كان بخصوص تصدير فاكهة الكيوى التى كان

والدها من كبار مصدريها، لذلك فقد استمتعت وارتدت فستانا أنيقا واستقلت سيارة أجرة للفندق. ولدهشتها فقد استمتعت مينرفا بوقتها، قابلت نوعيات مختلفة من البشر، وأخذت تهمس لروث عن رأيها فى الطعام المقدم، كما أخذت روث تهمس لها عن رأيها فى أثواب النساء اللاتى حضرن الاستقبال. وعندما ذهبت لتعدل من مكياجها فوجئت بالرجل الطويل الواقف فى بهو الفندق بشعره العسلى يتحدث لامرأة. شعرت مينرفا بمقدمتها تسقط لقدكان نيك، ومعه چنيفيف. ولكن بعد النظرة الأولى نسيت وجودها تماما وأخذت تحملق فيه بشغف. لم يكن واقفا فى مواجهتها، كل ما استطاعت رؤيته هو جانب وجهه فحسب، ومع ذلك فقد لاحظت أن تحكمه الكامل فى نفسه وثقته التامة لم تتغير بعد مرور أكثر من عام. تجمدت عندما استدار ونظر إليها فى خط مستقيم، وقد صنعت الأضواء الخافتة للبهو ظلا خفيفا على وجهه جعله يبدو وكأنه حلم وليس حقيقة، لم ترفع هى عينيها من على وجهه بل بقيت ساكنة كما هى. ثم قالت له چنيفيف شيئاً ما فنظر بعيدا عنها وابتسم لها. وعندما غمغم شخص ما وراءها "عن اذنك"، بدأت تشعر بما حولها ثانية بعد أن استغرقت تماما فى نيك بيڤريل لدقيقتين نسيت فيهما العالم. ثم عادت إلى حيث تركت أباها وزوجته .كان هناك اكثر من خمسمائة مدعو فى الحفل ولكنها أبقت عينيها مسلطة على باب القاعة حتى وصل نيك ومعه چنيفيف. كانت تعلم أن هناك كثيرات أجمل منها وأكثر أناقة فى هذا المكان الفاخر ولكن قوة المصادفة جعلتها تنسى ما حولها تماما وتتخيل أنه لورآها سينسى هو الآخر كل ما حوله. كانت تشعر بشخصيته داخلها وكأنه وهى شخص واحد رغم



وجودها وسط هذاالزحام الذى لا يعرف فيه الناس بعضهم، لكنه رآها وتظاهرت بأنها لم تلاحظه حتى أتى من خلفها وقال بصوته الهادى:

«مينرفا».

شعرت وكأنها حيوان أطلق سراحه وتمنت لو ركضت بأقصى سرعتها .استدارت بكبرياء ونظرت اليه. عيناه الرماديتان الهادئتان، صافيتان كالزجاج . لم يكن مبتسما ولم تكن مبتسمة ولم تكن هناك لمحة من عاطفة فى وجهه، أو حتى أى تعبير. لم يكن من السهل تذكر هذا الرجل وقد احتواها فى ليلة ما بين ذراعيه وطبع شفتيه على شفتيها.

قالت بهدوء:"نيك "كاد صوتها يتحشرج لو لم تبذل مجهوداً لتبقيه هادئاً:كيف حالك؟"

"أنا بخير وأنت؟"

لقد ملأ بجسده الفارع نظرها ببدلته السوداء وقميصه الناصع البياض، كانت تعرف انها مهما طال بها الزمن حتى تصبح امرأة عجوز ستظل تشعر بجاذبيته الطاغية تخترقها كلما نظرت إليه.ولكنها لن تدعه يرى ذلك فأجابت:

أنا بخير، لم أكن أعرف أنك مهتم بفاكهة الكيوى".

فقال بجفاف:

"إننى أعمل فى التصديرأحياناً لحساب آخرين أشترى منتجات مزارعهم واقوم أنا بتسويقها"

أومأت برأسها متظاهرة بأن ما قاله كان له معنى، أى كلمات لاتهم ولن يكون لها معنى. وفاجأها صوت چنيفيف الساخر آتيا من وراء نيك:

"نيك،آه ميرندا أليس كذلك؟"

نظرت چنفيف لمينرفا نظرة لا تحتاج لعناء لكى تفسر، إبق بعيدا عنه كانت النظرة واضحة وصريحة لقد شط ذهنها، فردت نظرتها بنظرة مماثلة وقالت:

" اسمى مينرفا ،مرحبا، كيف حالك؟"

بدت چنفيف مأخوذة قليلا ولكنها أجابت بسرعة. ثم قالت مينرفا:

"يجب أن أذهب فلابد أن روث تبحث عنى الان."

فقال نيك ببساطة ولم يلاحظ توترها:

"سنأتى معك فأنا لم أر روث أو براين منذ فترة طويلة."

حيت روث الجميع بطريقتها الودودة المعروفة ووقفوا يتحدثون لعدة دقائق.كانت چنيفيف تعرف والدها وروث جيدا وشعرت مينرفا بسخرية لأنها هى التى كانت الغريبة بينهم. سألتها چنفيف فى معبر الحديث:

«وماذا تفعلين الآن بعد العودة يا مينرفا؟»، طرحت سؤالها بطريقة أغاظت مينرفا لكنها أجابت:

«إننى فى عطلة الآن».

«ابتسم والدها قائلاً:

«مينرفا لا تستطيع البقاء فى مكان واحد طويلاً، سرعان ما تسافر ثانية».

لكنها نظرت اليه وقالت:

«إنها مؤامرة من والدى ليزيد من صادرات نيوزيلندا، فأنا أستخدم الكثير من منتجاتنا عندما أطهو».

وقالت روث بفخر:



«لقد عملت مينرفا مع أناس من طبقات عالية للغاية».

فقالت چنيفيف بلهجة ناعمة بدت لمينرفا كالثعبان:

«لا بد أن لديك حكايات كثيرة عمن تعملين لديهم».

فقالت مينرفا وهى تبتسم ابتسامة مقصودة:

«أنا أعمل فقط لدى أناس يهتمون بتناول طعام جيدا، لكننى لا أختلط بهم فأنا أعرف حدودى جيداً».

فقالت چنفيف وقد شعرت بالإحراج لأنها لم تتوقع إجابة كهذه:

«آه، أنا لا أقصد..».

فنظرت مينرفا نظرة باردة لتضيق الخناق عليها أكثر فقالت:

«لم أقصد أن أوجه لك إهانة».

فقالت مينرفا مبتسمة:

«أعرف، ليس من عادتى أن أغضب بسهولة فقد تعودت أن أقابل كل الشخصيات».

صفعة جديدة لكن روث أسرعت بمعالجة الموقف بتغيير الموضوع. أما مينرفا فقد شعرت براحة لأنها وضعت تلك المرأة فى حدودها قبل أن تتمادى فى سخافتها. كان نيك يستمع باهتمام لروث، ثم نظر لمينرفا بعينين نصف مغلقتين بينما زم شفتيه تماما. كان عليه أن يعلم «لعبته» الصغيرة بعض السلوك حتى لا تتعرض للكسر!!

لقد قال لها أنه يود طفلا ربما هذا سبب علاقته بچنيفيف، وهى أيضا تود طفلا ولكن منه هو وليس من أى رجل آخر. لحسن حظها ذهب هو وچنفيف سريعا وقد ابتسمت روث بعد أن ذهب قائلة:

«سيكون من الرائع لو تزوجا».

فتساءلت مينرفا دون أن تحاول أن تكتم امتعاضها:

«هل تعتقدين أنها الزوجة المناسبة له».

فبدا على روث التردد قليلا ثم قالت:

«مثلها مثل غيرها. أعتقد أننى لن أحقد على أى امرأة سيتزوجها نيك. أصارحك ياحبيبتى بأنه قد أتى على وقت حقدت عليك شخصيا لأنك حية وستيلا ماتت، هذا شر وجنون منى أعلم ذلك ولكن الآن من حقه أن يعيش فليس أول رجل تموت زوجته وهو لايزال شابا انه بحاجة لشابة تقف بجانبه و لا تمانع حبه للبقاء فى القلعة الاسبانية .لقد كانت ستيلا تكره غيابه الطويل فى المزرعة ولم تكن على حق فى ذلك»

فقالت مينرفا رغم أنها رأت أن تغيير الموضوع سيكون افضل:

«إنهما متناسبان».قالت ذلك وهى تأمل ان روث ستنكر ذلك لكن المرأة قالت:

«نعم هماكذلك كما ان خط حياتهما واحد».

آه بالتأكيد إن نيك تجاوز عقدته وأصبح طبيعيا الان وعلى اى حال فچنيفيف تستحقه بعد كل هذا الانتظار، قالت ذلك لنفسها دون ان تواصل الحديث فى هذا الموضوع وكأنما لتقنع نفسها ان لقاءها به ليس سوى هدنة عابرة. انتهى الاستقبال عند منتصف الليل ولكن مينرفا قابلت مجموعة من أصدقائها فى طريقهم لملهى ليلى فقررت الذهاب معهم حتى تنسى نيك وأنه مع چنفيف فى مكان ما الآن. لكنها لم تستغرق وقتاً طويلا حتى عرفت أنها لن تستمتع بوقتها معهم. كانت الموسيقى صاخبة للغاية والمكان مزدحم وبه بعض السكارى لذلك استقلت سيارة أجرةوعادت للمنزل. لم تكن لديها رغبة فى النوم



فقد كانت صورة چنفيف وهى تتأبط ذراع نيك تلح عليها، لذلك قررت أن تسبح قليلا فى حمام السباحة الذى فى حديقتهم، فقد كان الجو جميلا وبه لمسة دفء.

ارتدت روب الحمام وأخذت منشفة طويلة على كتفها وهبطت للحمام، وهى تضع المنشفة وتخلع الروب الذى ارتدته فوق المايوه كادت تسقط فجأة عندما رأت نيك واقفا على بعد خطوات منها، لكنه أسرع إليها وأمسك بها كما أمسك بها ذلك اليوم على سلالم قلعته منذ عام مضى. قال بصوته العميق البطىء:

«مهلاً، مهلاً».

كاد قلبها يقفز من قلبها لكنها استعادت توازنها وقالت وهى تضع يدها على صدرها:

«لماذا لم تخبرنى بأنك هناك بدلا من أن تفزعنى هكذا؟».

«آسف»، لم يبد عليه أنه آسف حقا كما أنه لم يتركها من ذراعيه أيضاً. كان قد خلع سترته للعشاء ورابطة العنق وشمر قميصه حتى ساعديه فبدا وكأنه أحد العمال الزراعين الأقوياء بجسده الفارع.

«لقد وصلت لتوى».

تذكرت أنها لا ترتدى شيئاً سوى المايوه فأسرعت للروب وارتدته وأحكمت حزامه حول وسطها، قال وهو يتركها من يديه:«هل أنت بخير؟».

فقالت وهى تبتعد عنه:

«نعم. ماذا تفعل هنا؟».

فقال باستغراب:

«سأمضى الليلة هنا، ألم تخبرك روث؟».

«لا، ربما لم تجد فرصة، لقد كنت فى رحلة اليومين الماضيين ولم أعرف».

فقال وقد لمعت أسنانه البيضاء:

«عادة ما أمضى الليلة هنا عندما أكون فى أوكلاند، كيف كانت وظيفتك الأخيرة؟».

«رائعة». قالت باقتضاب.

«لابد أنك تشعرين بالنفير فى درجة الحرارة».

كان يضحك منها فقد كانت تتصرف بغرابة وهى تبتعد عنه قليلاً بقليل وكأنها خائفة أو مذعورة. لكنها قالت:

«نعم، بريطانيا أكثر برودة، هل چنفيف معك؟».

«لا، إنها مع والديها».

إذن ربما كانت چوليان قد بالغت قليلا فى أمر علاقة نيك بچنفيف منذ عام مضى، فهو لا يبقى معها فى بيتها فى وجود والديها ولكن ماذا يهمها على أى حال؟ فواصل هو وكأنه يقرأ أفكارها:

«إننى أفضل البقاء مع عائلتى».

بدأت مينرفا تكره هذه الكلمة، كانت تكره فكرة أنها مجرد عضو فى عائلة، لكنه قال بصوت مؤدب وكأنه يجرى محادثة مع شخص يتعرف عليه لأول مرة:

«كم ستبقين هنا هذه المرة؟».

فحاولت أن تتذكر خططها وقالت بترتيب:



«سأبقى حتى نهاية فبراير فى نيوزيلندا، ثم سأبقى لمدة مع بعض الأصدقاء فى سنترال أوتاجو بعد الكريسماس، لقد قررت تقريبا أن أبحث عن وظيفة فى أحد فنادق أنثار كيكا التى تعقد فيها المؤتمرات العلمية».

فقال وقد رفع حاجبيه: «أنثار كيكا؟».

فقالت وهى تنظر إليه وقد آثارها شىء ما فى صوته:

«إننى طاهية، أتذكر؟!».

فقال ولكن هل سيقبلونك؟ أعنى فى الشتاء ستكون المرأة الجميلة عنصر تشويش للعلماء».

فقالت دون أن يبدو عليها التأثر بما قال بل بلهجة أقرب للغضب:

«لكننى لست جميلة ولن أؤثر على العلماء إذا كان هذا ما ترمى إليه».

فقال بتفهم بصوته الهادىء:

«لا، ليس هذا ما عنيته».

«على أى حال لا أحب المجاملات الرخيصة».

فقال وقد بدا عليه أنه يتسلى معها:

«ولماذا تصرين على أنك لست جذابة؟».

فقالت بعنف:

«لست جذابة، كما أن المجاملات الرخيصة إحدى خدع الرجال لكى يستدرجوا الفتاة للفراش».

كانا قد سارا نحو المنزل وبعد عبارتها الأخيرة شعرت بغباء ما قالته إلا أنه لم يكن هناك سبيل لتجنبه. لم يكن

لديها القدرة على الركض حتى لو أرادت ذلك فسوف يلحق بها بساقيه الطويلتين قبل أن تبعد خطوتين.

فواصل هو:

«إن الجمال أنواع. كثير من الرجال سيروق لهم قوتك وتحكمك فى نفسك، كما أننى بحاجة لأن أقول أن عينيك جميلتان وفمك المزموم يشكل تحديا جذاباً».

فقالت بصوت هادىء:

«إنك مجامل للغاية».

فقال ضاحكاً:

«ولكنك لا تصدقين كلمة مما أقول. لابد أن رجلا ما قد قام بخدعة عليك أليس كذلك؟ فمن هو؟».

دهمتها ذكرى بول وخداعه لها وغبائها، لو فقط تسقط تلك الأيام من ذاكرتها. قالت بإصرار:

«نظرة واحدة فى المرآة تؤكد أننى لست جميلة».

«إن هناك جمال الشخصية».

كان صوته باردا وغير شخصى لذلك فقد استغرقت برهة حتى عرفت أنه كان يعنيها بما قال، ووقتها أحست أن عليها أن تبتعد عنه بمنتهى السرعة لكنه أمسك بيديها ومر بأصبعه على وجهها ثم على رقبتها وقال:

«حتى أصابعك لها جاذبيتها الخاصة وأثر العمل الشاق واضح عليهم».

اختلطت رائحة الورود فى الحديقة برائحة عطره الذى أضفى عليه لمسة وحشية طاردت أحلامها لمدة عام كامل.



لكنها قالت:

«لقد بدأت أشعر بالبرد، من الأفضل أن أذهب، طابت ليلتك».

كان أنسحابها بسيطا وخالصا، لكنها صعدت درج الحديقة الى المنزل دون أهتمام. أما هو فلم يصعد للمنزل إلا بعد ساعة، أخذت تستعيد ما حدث بينهما عن سبب ما قاله لها. هل كان يسلى وقته أم أنه عنى ماقاله فعلاً. هرب منها النوم وهى تسأل نفسها وتعيد السؤال مرات ومرات. لو كان يهتم بها حقا لماذا لم يتصل بها العام الماضى؟ هل يعاقبها لأنها تركت منزله وذهبت دون وداع؟ لقد عوقبت بالفعل على غبائها، مجرد بعدها عنه لعام كان أقسى عقاب ممكن. ولكنها قررت ألا تعبأ بما حدث وبتلك التمثيلية التى قام بها فى ضوء القمر، إنه مع چنفيف ولم يسأل عنها لمدة عام كامل فلا داعى لإضاعة وقتها وإفساد إجازتها الصيفية فى أوهام. كانت تتناول إفطارها فى الشرفة مع «روث» عندما أتى هو مقبلا عليهما بابتسامة هادئة. انحنى على «روث» فقبلته وقالت:

«كم هو جميل أن نراك، هل استمتعت بليلتك الماضية يا عزيزى؟».

فقال وهو ينظر عبر المائدة مباشرة تجاه مينرفا:

«لقد كانت ليلة مسلية، صباح الخير يا مينرفا. إنك تبدين أكثر رسمية مما رأيتك آخر مرة».

تبادل هو وروث نظرات التعجب لكن مينرفا شرحت مسرعة:

عندما أتى الليلة الماضية كنت آخذ حماما وقد رأنى ملفوفة فى المنشفة الطويلة».

فقالت روث وهى تصب له كوبا من القهوة:

«فى وقتنا كنا نرتدى أغطية للرأس، لقد كان ذلك أفضل للشعر، متى تنوى العودة يا نيك؟».

«اليوم للأسف. سأذهب بعد الإفطار مباشرة».

فقالت روث بخيبة أمل:

«زيارة قصيرة، ولكنك سترانا فى خلال أسبوع».

«هل ستأتون بالطائرة أم بالسيارة؟».

نظرت مينرفا لروث بدهشة بعد أن عرفت أنه يقصدها هى أيضاً فسألت:

«هل أنت ذاهبة للقلعة الأسبانية؟».

«سنذهب كلنا يا عزيزتى ألم أخبرك؟ سنمضى بعض الوقت هناك».

وابتسمت روث لنيك دون أن تدرك أثر المفاجأه على مينرفا وقالت:

«إننى أتطلع لتلك الرحلة يا نيك أليس الإفطار رائعا؟ لقد صنعته مينرفا».

«إنه رائع»، قال ذلك وتناول قضمة كبيرة من السجق ثم تناول رشفة من العصير.

لم تكن على علم بما اتفقت عليه روث معه فأخذت تجول ببصرها بينهما بينما انهمكا هما فى تناول الطعام والحديث.

وبعد ساعة استقل نيك سيارة أجرة للمطار وسألت مينرفا روث:

«كم تنوين البقاء فى القلعة؟».

«ثلاثة أسابيع على ما أعتقد». ثم أخذت الأطباق من مينرفا قبل أن تغسلها وقالت وعلى وجهها ابتسامة خبيثة:



«لا يا عزيزتى لن تعملى وأنت هنا مطلقا. لقد تركتك تعدين الإفطار اليوم ربما لسبب ما خاص بك».

فقالت بوضوح لتنفى ما ألمحت اليه روث بطريق غير مباشر:

«ليس ذلك صحيحاً،فقد استيقظت مبكرا فحسب، هذا كل ما فى الأمر»، ثم قالت بعد تردد:

«ربما أقوم بالطهى فى القلعة الأسبانية وقد تحتاج مديرة منزله لإجازة.أما زالت هيلين باروز؟».

«نعم، ولكنى لا أعتقد أن نيك سيوافق على ذلك فقد سبق لك مساعدته من قبل. عزيزتى ماذا تنوين أن تفعلى اليوم؟».

فقالت بملل وهى تنظر لأشعة الشمس وقد ملأت الحديقة ولمعت الحشائش الخضراء الندية:

«لا أدرى. أعتقد أننى سأبقى فى المنزل».

قالت ذلك وهى تعلم أنها ستمضى طوال اليوم فى تذكر وتحليل كل لحظة مرت منذ أن وقع بصرها على نيك الليلة الماضية فى حفل الاستقبال...

# الفصل السابع

استغرق الرحيل للشمال صباحاً طويلاً حارا عبر الطرق المحفوفة بالأشجار و المزارع على الجانبين. و عند جنوب كيرى كيرى تركوا الطريق الرئيسى للطريق الغربى الموصل للساحل، و بعد ثلاثين كيلو متراً تفرعوا ثانية ليبدأوا الطريق المؤدى إلى غابة الكيورى والقلعة الاسبانية .قال براين و هو يقودالسيارة بسرعة:

" إنه لمكان رائع".

أخذ براين يتلفت حوله ليشاهد الأشجار الباسقة وهو يقود السيارة مما جعل روث تبدوكأنها تقف على أصابع قدميها ولم تجد بدأ من أن تطلب منه برفق أن يركز بصره على الطريق أمامه .فقال براين:«أسف.إن القيادة فى هذه الطرق ليست سهلة. عندماأتى كين هنا العام الماضى فشهد لينك بأنه خبير بهذه الطرق و يعرف متى يسرع و متى يبطئ متبعا لحالة الجو و درجة رطوبة الاسفلت»

فقالت مينرفا ببعض السخرية:

«كين يتخذ لينك مثله الأعلى».

وأخذوا يتبادلون الكلمات حتى وصلوا إلى اللافتة التى أصلحها نيك العام الماضى و التى تشير للقلعة .ازداد توتر مينرفا و هى تقترب من القلعة و عندما ظهرت كالسفينة فى الأفق من بعيد تخيلت مينرفا أنه لابد أن هناك من كان قرصانا فى عائله بيفريل.فلا يسكن هذه القلعة بلونها الداكن و سورها العالى سوى القراصنة . حتى نيك فانه يبدو كقرصان من طراز حديث بنظرته المعدنية و تمكنه من نفسه وانحرافة فمه الساحرة عندما يبتسم. إن الثلاثة أسابيع التالية يمكنها أن تصبح بالنسبة لها غاية من التوتر،

لقد مر عام على ماحدث و لو جاءت چنفيف لتبقى معهم فسيتطلب ذلك منها مجهودا ضخما كى تحافظ على أعصابها..

أوقف والدها السيارة قليلا ليتمعن فى القلعة عن قرب ثم تحرك ثانية حتى دخل من البوابة بسيارته ثم عبر الممر المرصوف وسط الحشائش حتى توقف أمام المنزل الضخم.

وهم يخرجون حقائبهم من السيارة ظهرت هيلين باروز و قالت مرحبة:

«مرحبا بكم، نيك يعتذر لأنه لن يمكنه الحضور قبل السادسة فهناك أعمال مهمة يجب انجازها فى المزرعة وقد ذهب منذ الفجر »

ثم قالت وهى تفتح لهم الباب و تساعدهم فى إدخال حقائبهم:

«بعد أن تستقروا فى غرفكم سنتناول جميعا قدحاً من الشاى »

لم يتغير المنزل، إلا أن الأثاث قد فاحت منه رائحة الشمع الذى يستخدم للتلميع،لكن رائحة الورودكانت لا تزال تملأ الحديقة ومدخل البيت، ونفس اللوحات الأنيقة و المدفأة الكبيرة إلا أنها لم تكن تعمل



الآن، شعرت مينرفا وكأنها عائدة لبيتها.لكن كان عليها أن تبتلع اعتراضها عندما وضعتها هيلين فى نفس الغرفة التى بقيت فيها العام الماضى، غرفة ستيلا الشديدة القرب بل والملاصقة لغرفه نيك، غرفه لا تحتفظ بعلاقة أو ذكرى واحدة على وجودها.

جلست مينرفا أمام المرآة تراقب حبة عرق تهبط من جبهتها على خديها ثم على ذقنها ثم ابتسمت وهى تمضى داخل قميصها القطنى.قامت للحمام لتغتسل من تراب السفر و هى تشعر بإحساس رائع بأنها فى مكان تنتمى إليه و ينتمى إليها.

عاد نيك و الشمس تكاد تغرب،كانت راقدة على سرير مطاطى مشدود بين شجرتين فى الحديقة عندما دخل وقد اغلقت عينيها تقريباً وأخذت تعبث بشعر القطة بنيولوبى التى كانت راقدة فى حجرها.لكنها شعرت به قبل أن تراه وقبل أن تتحرك القطة النائمة، ترددت قليلاً قبل أن تفتح عينيها وتنظر لوجهه الذى كان داكنا من العرق وقد انفتح قميصه حتى صدره الذى بدا وقد لفحته الشمس أيضاً. كان ينضح بالرجولة والقوة وهو واقف أمامها أزاح قبعته حتى منتصف رأسه وشمر ساعديه وارتسمت على شفتيه ابتسامة آلية.

سألته مينرفا: "هل أنتهيت؟".

"تقريبا ، ولكن مازال هناك عمل بالجرارات لإزالة النباتات التى حرقها الصيف".فقالت وهى تقوم من رقدتها:

"لابد أنك متعب للغاية، سآتيك ببعض عصير البرتقال."

كان العصير والاكواب موضوعة على المائدة الصغيرة بجانبها فصنعت له كوبا و هى تؤنب نفسها على اهتمامها به واظهاره هكذا

بدون تحفظ. أخذت تشاهد عضلات رقبته وهو يبتلع العصيروقد بدأت تشعر ثانية بتلك الرغبة التى تجتاح جسدها كله عندما تراه، تلك الرغبة التى كانت تجتاحها منذ اكثر من عام مضى.

فقال وهو يضع كوبه الفارغ وقد ضاقت نظرة عينيه:

«إنك تبدين منتعشة كالربيع نفسه».

لم تجب مينرفا بل اكتفت بالابتسام فقال وهو يذهب:

«سأذهب لأستحم، أراك بعد قليل».

أومأت مينرفا برأسها وأخذت تراقبه وهو يختفى بجسده الفارع داخل المنزل ثم أخذت نفسا عميقا وكأنها مرت باختبار رهيب. لقد أعدت نفسها للقائه ما ستقول وكيف ستقوله، ولكن بمجرد ظهوره نسيت كل شىء سوى الشعور به والرغبة المحمومة فى القرب منه. لقد غلبت عواطفها كبرياءها وكرامتها وانتهى كل تخطيطها، وانهارت دفاعاتها عندما ظهر لها فجأة كما يظهر دائماً. ولكنه لحسن الحظ لم يعد وحده بل كانت روث معه.لذلك فالأمور ستصبح أكثر سهولة. وقالت لنفسها وهم يتوجهون لتناول العشاء:«كيف سيمكننى أن أستمر فى ذلك لثلاثة أسابيع؟».

وعلى مائدة العشاء اقترحت مينرفا أن تذهب هيلين فى إجازة لرؤية عائلتها وأنها ستقوم بالطهى للجميع. وقد وافق نيك بينما اشترطت روث أنهم جميعاً سيساعدونها فى إعداد الطعام. وعندما وافقوا جميعا شعرت بان وقوفها فى مطبخ القلعة الأسبانية بمفردها سيجعل منها بالفعل ولو لمجرد ثلاثة أسابيع ملكة متوجة فى منزل نيك بيفريل.

وعندما ذهبت للفراش أخذت تخطط لما ستشتريه من السوق لكى



تجعل من وجبات هذه الإجازة وجبات لا ينساها الجميع. ولكن من هم الجميع؟ إنها لا تهتم سوى بنيك، هو وحده من يهمها أما روث وبراين فهما سيحبانها بغض النظر عن أى شىء آخر. ربما كانت تتصرف بحماقة فرغم كل شىء كانت هناك منطقة بداخلها يضيئها بصيص ضعيف من الأمل فى نيك، لكن لو كانت كل هذه أوهام فسوف تندم طويلاً. لكنها شعرت بالأمل يزداد داخلها عندما تذكرت أن نيك قد أعلن على العشاء ردا على سؤال روث أن چنفيف ستمضى إجازة الصيف فى منزل عائلتها... ولكن! إلى متى ستستمر تلك الحمى تجتاح لياليها كلما تذكرت چنفيف أو نيك. شعرت برغبة فى أن تنهض لتأخذ دشاً أو تستحم فى بحيرة باردة لكنها كانت متعبة للغاية فلم تستغرق وقتا طويلاً حتى نامت.

فى الصباح التالى استيقظت على صوت الجرارات وهى تسير نحو المزرعة مارة بالممر الذى يشق الحديقة. قامت واغتسلت وهى تشعر بانتعاش ثم ارتدت ثيابا قطنية خفيفة لأن الجو كانت به لمسة من الحرارة. وهى تغسل وجهها وتذكرت أفكارها الليلة الماضية وهى بين اليقظة والنوم فابتسمت لنفسها فى مرآة الحمام وتخيلت نفسها بعد عدة أعوام عندما يصبح نيك مجرد ذكرى عابرة، ستتذكر القلعة ونيك وتبتسم لأنها كانت حمقاء فى تضييع وقتها فى أوهام. لكن على أى حال سيمضى نيك أغلب وقته فى المزرعة ويمنحها ذلك الفرصة لكى تستمتع بالمنزل والحديقة والجو الرائع والهدوء مع روث أو وحدها. سينتهى كل هذا كما تخبو النار المتوهجة، سينتهى حبها لنيك كما انتهى حبها لبول من قبله.

وعلى الإفطار سألها نيك إذا كانت تود الذهاب لكيرى كيرى معه.
وقد قالت روث قبل أن تتمكن هى من الإجابة:
«يا لها من فكرة جيدة»
فسألتها مينرفا بأمل:
«هل ستأتين؟»
فقالت المرأة العجوز:
«لا، فمازلت متعبة من رحلة الأمس. اذهبا أنتما واحضرا لى دواء الضغط من الصيدلية فقد نسيته فى البيت».
حتى والدها قال إنه سيبقى ليرقد فى الظل أو يتمشى قليلا أو يقرأ كتابا خفيفاً مع كوب من العصير المثلج.
لم يكن لديها أى عذر لعدم الذهاب فقالت وهى تصب لنفسها فنجانا آخر من القهوة:
«حسن، يمكننى أن أشترى بعض الأشياء من السوق».
كانت قد أعدت قائمة بالمشهيات والأصناف التى ستصنعها لهم بعد أن رحلت هيلين وهى فى منتهى الامتنان لها. كانت هذه هى المرة الثانية التى يمنح وجودها هيلين وقتا لتزور أسرتها وتمضى معهم إجازة، لذلك فقد شكرتها المرأة بصدق رغم أنها لم تبد ودودة عندما رأتها أول مرة منذ عام مضى.
جلست بجانبه فى السيارة وقد استرسل شعرها على كتفيها ولم تجمعه فى عقدة كما تفعل دائماً. توقعت أن يقول شيئاً لكنه بعد نظرة طويلة لها ابتسم ثم بدأ يتحدث عن آخر فضيحة سياسية تشغل الرأى العام. فكرت وهما فى الطريق كيف يبدو ذكيا وغير متميز وهو يناقش



الأمور فقالت وهى تبتسم:
«إن المرء يتوقع دائماً مناقشات عقيمة من أصحاب الأملاك، لكن هذا لا يحدث معك؟»
«ولماذا؟»
«إن المزارعين لديهم تلك السمعة بأنهم عادة محافظون».
اتسعت ابتسامته وقال:
«ربما نكون فى حاجة للمحافظين حتى لا يفقد هولاء المتمردون صوابهم ويجذبون المجتمع وراءهم».
وعندما لم تجب واصل هو بلهجة أكثر جدية:
«قد يبدى المزارعون بعض المحافظة لأنهم يرتبط رزقهم بالجو والطبيعة و من الصعب عليهم أن يقتنعوا بالنظريات».
وفجأة برز أمامهما فى الطريق خروف صغير شارد من قطيعه فأوقف نيك السيارة على مقربة منه ثم ظهرت أم الخروف وكأنها تبحث عنه. قال نيك بحزم:
«علينا أن نعيدهما إلى مرعاهما».
فقالت مينرفا:
«حسن، ولكن كيف؟».
فقال بلهجة من يعرف عمله جيدا:
«سأدفعهما أنا إلى أعلى التل من حيث هبطا وأنت أمامهما حتى نجبرهما على السير فى الطريق الذى نريد».
لم يكن الأمر سهلا كما اعتقدت مينرفا، فقد استغرق منهما ذلك وقتا وجهدا أكثر من عشرين دقيقة. ولحسن الحظ لم تمر أى سيارة

أخرى مسرعة فى الطريق والا كان سيحدث ما لا يحمد عقباه. وعندما تأكد نيك من أن الحيوانين قد عادا لقطيعهما قال وقد بدا عليه الرضا:

«حسن، فلنذهب».

ها هو ذا شىء جديد تعرفه عنه. إنه صبور. لم تكن هذه خرافة ولكنه لم يشعر بالملل وهو يحاول إنقاذهامن الموت على الطريق السريع. قالت لنفسها إن هدوء وحزمه لا يعنى أن مشاعره ميتة، لكنه ربما يتعمد إخفاءها أو ربما تكون هذه طريقته، قالت وهى مازالت تلهث:

«تصور، لقد تذكرنى الصدى!».

«نعم. طبيعى لقد كنت تعطيه الذى كان يتبقى».

فقالت مينرفا بشىء من الخجل:

«هل كنت تعرف».

«نعم. ولكن لا تعجبى فالكلاب يمكنها أن تتذكر أبعد من عام».

ثم أضاف:

«إننى ألاحظ كل شىء».

قال ذلك ومنحها نظرة طويلة من نظراته الطويلة الباردة.

كانت كيرى كيرى مزدحمة بالسياح ومن يمضون إجازتهم. حتى التلاميذ ملأوا الشوارع فقد أخذوا الاجازة الصيفية فشعرت مينرفا أنها سائحة وسط السياح.اتفقا على أن يتقابلا بعد نصف ساعة حيث سيذهب هو ليقابل شخصا ما وستذهب هى للسوبر ماركت لكى تشترى ما تحتاجه وقد أعطاها نيك مفتاح السيارة حتى إذا عادت قبله تجلس فيها. عادت بعد عشرين دقيقة ووضعت مشترياتها فى حقيبة



السيارة، لكن فكرة انتظار نيك فى السيارة فى هذا الجو الحار لم ترق لها بل وجدتها - بغرابة - فكرة مهينة!!

لكنه لم يتأخر على أى حال فقبل أن تفتح السيارة ظهر بجسدة الطويل وقد لاحظت مينرفا أن الناس من أصحاب المحلات والعاملين فى السوق يعرفونه ويحيونه بتقدير، كان يرد تحيتهم بيده ويصافح البعض ويقف لتبادل الكلمات قليلة مع البعض. وقد وصل عندها:

«أتمنى ألا تكونى قد انتظرتى طويلاً».

كان شعرها دافئاً وقد شعرت بأنه يلتصق برقبتها فهزته بقوة قائلة:

«لا، لقد جئت لتوى».

«حسن»، قال ذلك وهو يبتسم ويفتح لها باب السيارة.

جعلتها ابتسامته تفكر فى الكثير لدرجة أنها لم تلاحظ أنهماغير متجهين للمنزل إلا بعد فترة فقالت وهى تحاول ألا تبدو معترضة:

«هذا ليس الطريق للبيت!».

«أود رؤية أصدقاء فى إجازة هنا، هل تمانعين؟».

«لا»، لكنها فى الحقيقة كانت تمانع، أما هو فقال واعدا:

«سوف يعجبونك».

كان أصدقاؤه يعيشون أسفل التل فى منزل خشبى فخم صنع خصيصا لعطلات الصيف. كان المنزل على الساحل أى له شاطئه الخاص به مما جعل المنزل يبدو وكأنه قطعة فنية مرسومة أو مكان ما فى الجزر الاستوائية. تيجان وزوجها كيران سينكلير مع ابنتيهماأتوا جميعا من أوكلاند لقضاء العطلة فى هذا المكان الرائع. بدا على المرأة وزوجها انهما يتساءلان عن مينرفا لكنهما أجادا إخفاء ذلك.بالطبع

كأصدقاء قدامى لنيك كما ظهر أنه يهمهم أن يعرفوا من هى. ها هو ذا جانب جديد من شخصيته يتفتح امامها. عندما يكون مع أناس يعرفهم ويثق بهم عندما يكون مع أصدقائه بدا مسترخيا وقد أزاح الستار الحديدى عن عواطفه، لابد ان لديه طاقة خارقة لكى يبدو هكذا صلباً طوال الوقت. قالت مينرفا ذلك لنفسها وهى تراه يداعب البنتين الصغيرتين فى رقة وعطف لم تعتقد أنه من الممكن أن يبعدوا عنه. لقد كان نيك مثل غيره لديه نقاط ضعف لكنه كان يعرف كيف يدافع عنها ويحميها جيداً.

كانت الابنة الكبيرة ملتصقة به طوال الوقت وقالت لمينرفا وهى تحتضنه:

«عمى نيك هو أبى الروحى».

فقالت مينرفا:

«إنه رجل سعيد الحظ جداً».

فقالت البنت الصغيرة بسعادة:

«إنه يجلب لى هدايا كثيرة».

فقالت الأم موجهة حديثها لمينرفا:

«إنه لا يعطينا فرصة حتى نمنحها عنه تلك الهدايا. ففى كل المناسبات يكون هو الأسرع. إن نيك إنسان رائع».

ماذا تعنى المرأة بترجيه كلامها لمينرفا؟! أما نيك فقال وهو نصف مغلق العينين:

«إننى أحب الأطفال ياتيجان ولوسى حبيبتى القديمة».

فقال كيران ضاحكا:



«ونحن أيضا. ولكن أرجوك لا داعى للآلات الموسيقية التى تجلبها لهن فأنا لا أستطيع أن أعمل فى البيت مطلقاً».

ثم أخذوا يتكلمون عن الاطفال ويضحكون

كان كل ما تريده مينرفا مرتبط بهذا الرجل. لقد بدأت شخصيته تتضح أكثر أمامها،لم يكن مجرد رجل جذاب للنساء، بل كان عطوفا وحنونا على الأطفال والحيوانات، على من يعملون عنده، على كل من حوله، فقط كان حظه غير قليل. وفى طريق عودتهما قال لها:

« اعتقد أنك لم تحبيهم».

فقالت بسرعة: «على العكس إنهم لطاف للغاية»

فقال وقد رفع حاجبيه:

«أنا سعيد. كيران أحد أصدقائى، من أقدمهم وزوجته رائعة وطيبة للغاية».

تساءلت مينرفا عن السبب الذى جعله يأخذهالزيارتهم،لقد كان من الممكن أن يمر عليهم فى أى قت آخر بمفرده، ولم يكن الأمر مجرد استمتاع بصحبتها. لقد كانت هناك عاطفة فى صوته وهو يتحدث لروث، للطفلة لوسى، أما عندما كان يتحدث إليها لم يكن هناك سوى هذا التحكم البارد فى صوته الذى جعله أشبه بالرنين. ومع ذلك فقد أرادها ورغبها يوما ما،لكن الرغبة غير الحب، الرغبة تزول أما الحب فلا، ربما ماتت قدرته على الحب مع استيلا.كانت تشعر أنها بالنسبة له ليست سوى كلبه او حصانه،او كالقلعة الاسبانية نفسها،

هل تقضى ستيلا على كل أمل فى مستقبلهما معاً.لكنه قال لها:

«ما هذه النظرة المبتهجة؟ فيم تفكرين؟:.

نظرت إليه ولم تجب فقال و كأنه يعرف ما تفكر فيه:

«ستيلا،آه لو كانت تعرف أن قتل نفسها سيجعلها حية بيننا هكذا".

«أشك فى ذلك»قالت ذلك بهدوء وهى تشعر بألم فى قلبها ثم أضافت !

«لم يكن تفكير المسكينة واضحا»

فقال بنبض مكتوم:

«آه كم أتمنى لو قابلت والدها هذا و لو مرة واحدة»

تصورت مينرفا ما كان يمكن ان يحدث وحمدت الله ان كان الرجل ميتا. بغض النظر عن الجانب الشخصى المتعلق بستيلا فقد بدا من معاملة نيك لاطفال سينكلير أنه يحب الاطفال و يعتبرهم كالكنوز. سألته لتبقى ذهنها مشغولا:

«كيف حال فرانك؟»

«بخير، لقد استقرت زوجته فى كيرى كيرى ويمكنه الآن أن يرى أطفاله وقتما شاء.و قد أقلع عن الخمر أيضاً وقد اشترى جون و جوليا همواره مزرعتهما الخاصة على الطريق إلى ويلفورد».«حسن، ...حسن». قالت ذلك باقتضاب وهى تشعر ببعض الراحة لانها لن تقابل جوليان ثانية.

* * *

مرت عدة أيام ببطء و دون أن تشعر مينرفا بأى تغير فى مشاعرها تجاه نيك.كان مضيفا رائعاً وضيفا رائعا أيضا. فقد ذهبت معه لعدة حفلات لدى بعض أصدقائه مع روث وبراين. كانت تكره تجمع النساء حوله كالفراش حول المصباح. لقد عرف نساء كثيرات ونساء كثيرات



كن يتعمدن الحديث معه والتواجد بالقرب منه لكن مينرفا شعرت بأنها الوحيدة التى كانت تعرفه من الداخل. لقد رأته مع عائلة سينكلير ورأته وهو مسترخ مع روث وبراين، كان انسانا مختلفاً. أما النساء الأخريات فينظرن إليه على أنه مجرد رجل جذاب ووسيم وواسع الثراء. أما هى فقد استطاعت الوصول إلى ما هو تحت هذا السطح، إلى الإنسان وليس للرجل فحسب. ولكنها بدأت تشعر بأنها تضيع وقتها. فلا أمل لهما معاً. يخرجان سوياً ويضحكان ويمرحان ولكن ليس هذا ما كانت تريده. لقد أرادته لنفسها تماما كما هى مستعدة أن تمنحه نفسها تماما. لذلك عندما سألها اذا كانت تود الذهاب معه إلى حفل راقص فى كيرى كيرى فى إحدى الليالى الممطرة اعتذرت وتعللت بأنها متعبة وستأوى للفراش مبكراً بعد العشاء فذهب وهو يبتسم ابتسامة مقبضة.

أخذت مجلة وصعدت لغرفتها وأخذت تقرأ قليلاً وهى تعلم أنها لن تخلد للنوم حتى يعود نيك. وبعد قليل سمعت نقرا خفيفا على الباب، لابد أنها روث جاءت لتتحدث قليلاً فقالت بصوت مرحب:

«تفضلى يا روث».

دخلت المرأة وعلى وجهها ابتسامة رقيقة ثم سارت للنافذة وقالت:

«يبدو أن المطر لن يتوقف الليلة».

فقالت مينرفا وهى تبتسم وقد رفعت المجلة على وجهها حتى لا تراها روث:

«نعم، إنها تمطر منذ الصباح».

كانت مينرفا تعرف أن روث تبدو قلقة ومترددة عندما تريد أن تقول شيئاً ولا تعرف كيف تقوله فبقيت صامتة حتى جلست روث على طرف السرير وقالت بصوت حنون:

«مينرفا، لماذا لم تخرجى معه الليلة؟».

فقالت مينرفا وكانت قد بدأت تشعر منذ فترة بأن لروث خططا معينة:

«إنتى متعبة قليلاً».

«هل هذا هو السبب الوحيد؟».

وماذا غير ذلك؟».

اقتربت روث منها أكثر وقالت وهى تبتسم:

«مينرفا، ألا يعجبك نيك؟».

«بلى، يعجبنى».

فسألت المرأة بعتاب:

«إذن لماذا لا تعطينه الفرصة؟».

«الفرصة لم؟».

وقبل أن تجيب المرأة ابتسمت مينرفا ونظرت لروث بعينين ضاحكتين وهى تقول:

«روث هل تحاولين أن تقومى بدور الخاطبة؟».

فقالت المرأة بصوت جاد:

«وماذا فى ذلك؟ ألست ابنتى وهو مثل ابنى. تعرفين أننى أحبكما كثيراً».

فقالت مينرفا بحسم:

«لست سوى أخت زوجته الراحلة. روث إن نيك أرمل ستيلا، كما أن مجرد أعجاب ببعضنا البعض وخروجنا سويا. الذى ليس له سبب سوى أننا الوحيدان من نفس العمر فى هذا المكان. لا يعنى أننا متحابان وسنتزوج...» وقبل أن تجيب المرأة سألتها مينرفا:



«هل تحدثتما عن شىء ما؟».

فهزت روث ذراعيها وقالت بصدق:

«لا لا، لا شىء. كل ما هنالك أننى لاحظت أنه مهتم بك».

مهتم، آه ياروث لو عرفتى إنها تريد ما هو أكثر من ذلك بكثير، لكنها لن تظهر ذلك بالطبع بل قالت:

«إنه مهذب وكريم لذلك يعاملنى برقة، كما أنه يعتبرنا عائلته».

فنهضت المرأة وقد ارتسم على وجهها شعور عميق بخيبة الأمل وقالت بصوت رقيق:

«حسن يا عزيزتى، كل ما هنالك هو أننى...»

ولم تجد ما تقوله فنهضت مينرفا واحتضنتها بشدة وقالت بحب صادق:

«روث. إن لديك قلباً يسع العالم كله ولكن ليس كل الناس مثلك».

فقالت المرأة وهى تغالب دموعها وتحاول الابتسام:

«فقط أردتك سعيدة، لكنى أعدك ألا أتدخل ثانية فى ذلك».

ثم قالت وهى تتجه صوب الباب:

«سأتركك الآن لتنامى يا عزيزتى، طابت ليلتك».

«طابت ليلتك يا روث».

وخرجت المرأة لكى تتركها لتنام وهى لا تعرف أنها لن تنام قبل أن يعود نيك.

* * *

# الفصل الثامن

استيقظت مينرفا فى الصباح على صوت حبات المطر وهى تتساقط على زجاج النافذة، كانت السماء ما زالت تمطر بشدة مما جعلها تشعر بنوع من الكآبة. إلا أنها نهضت سريعاً لتغتسل وتبدل ثيابها وتهبط لتنضم للمجموعة. كان براين ونيك يلعبان البلياردو بينما كانت روث تطالع كتاباً. قال براين وهو ممسك بعصا البلياردو بعد أن انتهى الدور:

«فى يوم من الأيام سأهزمك».

فقال نيك وهو يضع عصاه على مائدة اللعب:

«ليس اليوم على أى حال، فلدى عمل هذا الصباح».

ثم غادر الحجرة بينما تناول براين الصحف وبدأ يقرأها. لذلك قررت أن تعد لنفسها الإفطار فخرجت للمطبخ ولكنها قابلته فى الردهه الموصلة للحديقة فبادرها:

«هل تودين نزهة على ظهر الخيل؟».

فقالت بدهشة:

«لقد اعتقدت أننى سمعتك تقول إن لديك عملاً هذا الصباح».

«لقد قلت ذلك عندما رأيت أن المطر توقف، والغابة عادة ما تكون رائعة بعد المطر فرأيت ألا أضيع هذه الفرصة. هل ستأتين؟».

لم يكن لديها أى سبب للرفض سوى الخوف من شىء مجهول لكنها هزت كتفيها وقالت: «وهو كذلك».

فقال بصوت مشجع:

«حسن تعالى معى لكوخ الحديقة. هناك أدوات ركوب الخيل الخاصة بأمى».

سارت وراءه وهى تشعر بأنه لم يكن من المفروض أن تقبل التنزه معه. يجب أن تمضى ما يتبقى لها من الوقت فى المزرعة دون أن تورط نفسها فى شىء معه، ولكن كلمات روث، «أنه مهتم بك»، أخذت ترن فى أذنيها وهى ترتدى حذاء الركوب بينما ذهب هو ليحضر الحصانين، الجن الفضى حصانه ومهرة أخرى بدت وكأنها تناسب الجن الفضى تماما.

ساعدها نيك فى امتطاء صهوة الجواد وهى تضحك لأنها كانت تخشى الوقوع فى كل مرة، ولكن أخيراً ثبتت على ظهر المهرة "بسكيت" وقد بدا لها العالم مختلفاً تماما من فوق صهوة جواد. سار بهما الجوادان فى طريق الجداول التى تشغل الجانب الغربى من غابة الكيوى ودون أن يتحدث نيك كانت تشعر مينرفا بأنه يريدها و يرغبها ولكنها لم تستطع أن تقاوم أن ما تريده منه لا يمكن أن تحصل عليه فقررت أن تستغرق تماما فيما حولهما ثم تساءلت:

"أين الصدىء؟ألا يأتى معك؟".

فقال بلهجة قاطعة:



"لا"ليس وأنا أتنزه، يأتى معى فى أثناء العمل فقط."

بدا لها وهو فوق صهوة جواده أنه فارس من العصور الوسطى، كان ممسكاً بلجام الجواد برفق بدا أنه متحكم فى كل خطوة تحكماً تاما. وبعد قليل لحق بهما الصدىء راكضا فضحكت مينرفا بينما ابتسم نيك وهو يهز رأسه.

كان كل شىء حولهما طبيعياً ومنعشاً. وشعرت مينرفا برغبة شديدة فى أن ترقص بالحصان لكنها لم تفعل فلم تكن مدربة على ركوب الخيل كما أن الارض كانت مبللة ومتعرجة فى مواطن كثيرة . قالت وهما يمضيان فى الغابة أكثر حتى وصلا للجداول:

"لقد فاتنى كل هذا العام الماضى ولم أر سوى الغابة من جانبها الآخر. إن هذه الجداول رائعة وكأنها فى الجنة"

فقال نيك بلهجة لم توضح ما يشعر به:

"لقد فاتك الكثير العام الماضى."

لم تحاول أن تفهم ما يعنيه لكنها ابتسمت دون تعليق فقال هو دون أن ينظر اليها:

"هل تصدقين أنك أصبتينى بالرعب أول مرة رأيتك فيها؟!"

"الرعب؟" قالت ذلك فيما يشبه المصادفه، أما هو فقد واصل بهدوء:

"نعم"ذلك اليوم الممطر عندما كنت تسألين عن الطريق".

على الأقل مازال يتذكر اليوم كما تتذكره هى لكنها لم ولن تسأله عن سبب رعبه منها.

قد تكون تلك خدعة منه، ما كان يجب أن تأتى معه فى البداية. أخذ يقترب منها بجواده وقد أمسكت هى بلجامها بتوتر خائفة من أن تسقط من عليه حتى أشار بيده الى صخرة مرتفعة قائلا:

«هذا هو الشلال ولكن من ظهره ، علينا أن نصعد حتى نراه».

قال ذلك وترجل ثم مد ذراعيه اليها فوجدت نفسها ترتمى فى أحضانه وهى تهبط من على الحصان. كان جسدها ملتصقاً بجسده للحظة لكنها لم تستطع الابتعاد عنه فقد جذبها بشدة نحوه وقبلها قبلة طويلة انهارت مقاومتها لها حتى قبل أن تبدأ، وعندما ابتعدت شفاههما حاولت أن تدفعه بذراعيها لكنها صرخت فجأة:

«الصدى، سيسقط فى الجدول».

استدار نيك بسرعة ليجد كلبه العزيز قد سقط بالفعل فى المياه، أخذت مياة الجدول المندفعة المتدفقة بقوة من أعلى التل الصخرى تجرفه ناحية الشلال. وضعت مينرفا يدها على فمها لتكتم صرخات الرعب بينما خلع نيك سترته وألقى بها على الأرض وتناول حبلاً كان يحتفظ به دائماً فى سرج الحصان. سألته مينرفا وهى لا تصدق ما سيفعل:

«لا يا نيك، لا لا تذهب».

لكنه لم يجبها بل أخذ يبحث عن غصن قوى يربط فيه الحبل، وأخيراً وجده ثم ربط الحبل حول وسطه وقال لها بلهجة آمرة:

«عندما أصل له اجذبى الحبل ببطء».

كان الكلب قد استطاع أن يسبح حتى وصل لصخرة مغمورة ارتمى عليها وأخذ يهز ذيلة فى انتظار أمر سيده، صاحت به مينرفا لكن نيك



صرخ فيها،

«لا تناديه، هل تضمنين أنه لو هبط الماء ثانية سيمكنه الرجوع؟».

كان محقا، لو طلب منه سيده أن يعود فسيعود حتى لو كان ذلك يعنى أن يلقى حتفه. أخذ قلب مينرفا ينبض بشدة ونيك يهبط فى الماء ببطء وقد التف الحبل حول وسطه وقد أخذ يسير حتى وصلت المياه إلى منتصف صدره ثم بدا لها من حركته فى الماء أن الأرض لم تصبح تحت قدميه الآن، كان الجدول عميقاً والتيار قويا، وكتمت أنفاسها حتى وصل إلى الصخرة التى كان الكلب واقفا عليها فأمسك به نيك ورفعه بذراعيه القويتين ودفعه بحركة ما بدا لها أنها متعارف عليها بينهما - على ظهره ثم بدأ طريق العودة. أخذت هى تجذب الحبل المربوط فى الغصن القوى كأنها تجذب روحها التى كادت تسحب منها. وعندما وضع نيك قدمه على الأرض كادت ترتمى بين أحضانه لكنها تماسكت وأخذت تراقبه وهو يجلس بتعب على أقرب صخرة وقد ابتلت ثيابه تماماً. وقف الصدى على الأرض وأخذ يهز جسده بشدة كأنما يطرد عنه الماء. نظرت اليه مينرفا وابتسمت ثم قالت لنيك:

«لن أتركك تفعل ذلك بنفسك مرة ثانية أبداً».

فقال بصوت أجش بعد أن سعل سعلة قصيرة:

«حقا، بأى حق؟».

فلم تجب فواصل هو وقد لمعت عيناه فجأة وكأن نارا اشتعلت فى رمادها البارد:

«هل تعلمين لماذا أصبت بالرعب فور أن رأيتك لأول مرة؟ لأننى عرفت أنك ستغيرين حياتى تماما ولم أكن أريد ذلك. كنت مازلت معقدا

بما حدث مع ستيلا ولم أشأ أن أدخل فى علاقه جديدة».

فلم تجب مينرفا بل وقفت تنظر اليه فيما يشبه الذهول وهى تمنع نفسها بأن تشعر بالسعادة، لم تكن واثقة بعد من معنى حديثه. لو كان يحبها حقا لماذا لم يتصل بها لمدة عام؟ لكنها لن تسأله، لا تريد شيئاً منه شعرت بدوار وهى مذبذبة بين ما يريده قلبها وبين ما يفكر فيه عقلها. لكن نيك قال وهو يسعل ثانية:

«لقد كنت أخشى أن تكونى مثل ستيلا. لذلك عندما ذهبت قررت أنك مثلها».

وقفت ساكنة تنظر اليه عاجزة عن أى كلام. هل تدافع عن نفسها أم تنتظر لترى ماذا يريد فى النهاية. لكنه بدا متضايقا من صمتها فقام واتجه لحصانه قائلاً:

«من الواضح أننى أصيبك بالملل، من غبائى كنت أعتقد أنك ستقبلين أن...».

ولم يكمل بعدها أخذ يرتدى سترته الجافة على قميصه المبلل أما هى فقالت فى مفاجأة له ولنفسها أيضاً:

«نعم يا نيك. إننى أقبل أن أتزوجك».

لم ينظر إليها بل لبث واقفا برهة فى سكون ثم استدار وقال بصوت بدت فيه بوادر الغضب:

«أنا لست فى حاجة لشفقة منك».

فقالت بسرعة وقد أخذت الكلمات تنساب من بين شفتيها وكأن عقلها فقد سيطرته عليها نهائياً:

«ليست شفقة؟ لقد حلمت دائماً بزوج يحترمنى ويهتم بى و...».

«وماذا؟».



«ويحبنى. هل تحبنى يا نيك؟». طرحت هذا السؤال وقد امتلأت نبرتها بعدم الثقة. كانت لا تزال تشعر بأنه غير جاد فيما يقول، لكنه ضحك ضحكة عالية وقال وهو يقترب منها:

«نعم. أحبك. لقد أحببتك منذ العام الماضى ولكننى كنت أخشى عليك من نفسى».

فقالت والدهشة تملؤها:

«تخشى على، لم؟».

فقال وصوته يتأرجح بين الفرح واليأس:

«كنت مازلت أعتقد أن العيب كان فى لذلك ستيلا لم تمارس معى الحب».

أمسكت وجهه بيدها وقالت بحنان:

«لقد انتظرت أن تكتب لى طويلا، لكنك لم تفعل».

«أكتب لك. لقد قررت أن أسافر لك فور أن ذهبتى، ولكنى عندما وصلتنى رسالتك القصيرة الأشبه بالبرقيات الرسميه تأكدت أننى كنت أعيش فى أوهام. لقد كنت سآتى إليك وأختطفك كما فعل جدى الأكبر».

فقالت بدهشة:

«نيكولاس؟».

«نعم. أتذكرين يوم سألتينى عن السبب الذى سمى قلعته له القلعة الأسبانية..».

ثم قبلها قبلة سريعة ووضعت هى ذراعيها حوله بينما واصل هو:

«كان انجليزيا وأحب امرأة اسبانية فى أثناء عمله فى أسبانيا. وقد

اختطفها وأتى بها لهنا. وبعد عام وصل إليه زوجها وأعادها معه بعد أن تركت له ابنهما الوحيد».

فقالت مينرفا:

«بالتأكيد لم تكن تحبه حقا، أو كانت شخصيتها ضعيفة».

«ربما ولكن العجيب كما كتب نيكولاس فى مذكراته أنهاكانت تحب زوجها أيضا لحد ما».

فتمتمت مينرفا بدهشة:

تحبه أيضا؟!اماذا تعنى؟!».

«لا أدرى. لقد كان رجلا رائعا كما شهد بذلك له نيكولاس نفسه. فقد كان معجبا به ويعتبره رجلا عظيما اذا نحينا جوانب الغيرة والخصومة عليها بينهما».

فقالت مينرفا:

«لذلك أطلق على مزرعته وقلعته الإسبانية».

شعرت مينرفا وهو يقبلها ثانية بأنها لا تصدق ما يحدث. لقد تم ما انتظرته فى عام فى أقل من ساعة.

هل حقا ستتزوج نيك؟! ولكن هل لروث دخل فى هذا؟ قالت وهى تبتسم وقد تقارب وجهاهما:

«هل كنت تنوى الزواج من چنفيف؟».

فضحك ضحكة ماكرة وقال وهو يطبع قبلة على خدها:

«لا، إننا منذ تزوجت ستيلا مجرد أصدقاء».

ربما من ناحيتك أما هى فلا تعتقد أنها مازالت وراء؟ ألن تستريح مينرفا من ذكرى ستيلا وچنفيف! قالت وهى تبعد عينيها عن وجهه



الذى اختفت منه الحدة وحل محلها عطف أكيد:

«لماذا ذهبت معها لحفل الاستقبال؟».

فقال وهو يرفع وجهها لينظر اليه:

«لقد أخذتها معى خصيصاً لكى أثير غيرتك. عرفت من روث أنك ستكونين هناك لذلك أخذتها معى وقد نجحت خطتى...»

فلما ابتسمت واصل هو اعترافه:

«وقد دعوتكم لقضاء عطلة الصيف هنا لأتأكد من مشاعرك نحوى. مينرفا إننى أحبك وأريد أن أتزوجك!».

الزواج أخيرا. لكن لقد قال لها قبل ذلك أنه يريد أن ينجب أطفالا فهل هذا هو السبب الوحيد. ابتعدت عنه مينرفا عندما تذكرت ذلك. ثم سألته وهى تدير له ظهرها:

«نيك لماذا تريد أن تتزوجنى؟».

فقال ببساطة ولكن بصدق:

«لأننى أحبك».

«فقط؟».

«وهل يمكن أن يكون هناك سبب آخر؟».

فقالت وهى تحاول أن تزن كلماتها حتى لا تقول ما تندم عليه:

«أليست رغبتك فى طفل هى السبب الأساسى؟».

لم تسمع رده لكنها شعرت بيديه القويتين تمسكان بكتفيها ثم أدارها ونظر فى عينيها وقال:

«نعم أريد طفلا ولكن منك أنت، منك أنت وحدك».

فلم تجب فواصل هو:

«لقد أرادت ستيلا أن تنجب أطفال أنابيب لكننى لم أوافق. إننى عندما أريد طفلا أريده من المرأة التى أحبها فحسب. عندما قلت لك ذلك كنت غاضبا ويائساً ولم أكن واثقا بعد من حبك لى».

فاحتضته واحتوته بذراعيها، كان جسده العريض يملأ العالم أمام عينيها، لم تكن تريد شيئاً سوى أن تبقى معه للأبد. همس في أذنيها وهو يحتضنها:

«لنتزوج بأسرع ما يمكن».

فقالت:

«كم يستغرق ذلك من الوقت؟».

«ثلاثة أيام لإتمام كل الاجراءات اللازمة».

فقالت بدهشة:

«ثلاثة أيام!؟ ستصاب روث بخيبة أمل».

«لم؟».

فقالت مينرفا موضحة:

«إنها ستريد بالطبع زفافاً وفستاناً أبيض وثلاثمائة مدعو».

فقال بثقة:

«كل ذلك يمكن إتمامه بسهولة».

فلم تجب بل استغرقت فى عينيه الرماديتين اللتين أصبحتا فى لون الفضة وقد نسيت العالم من حولهما. وببطء رفعها ووضعها على صهوة المهرة الشابة وامتطى هو جواده وعادا إلى القلعة الأسبانية دون أن يتكلما. شعرت بأنها قد وصلت لنهاية رحلة طويلة ولكنها لم تكن متعبة بل سعيدة. وجدت فى القلعة الأسبانية. وقد بدت عن بعد



محطتها الأخيرة التى كملت كل أحلامها وعذاباتها منذ عام مضى، لكن الآن بدت القلعة لها كبيتها القديم،وقد فتح لهما المستقبل ذراعيه حاملا فى يديه باقة الأمل الجميل.